

ANCORA IMPARO



الفُيُورُ

الطبعة الثالثة

أكتوبر ١٩٢٩ عرف نفسك بنفسك: فتاغورسي مجلد ٥ العدد ٢٦

هاجبتنا الى الاصمراع الاجتماعي

ندعو نا الى تأسيس حزب الفلاح المصري

<http://Archive.Debat.Sakhril.com>

بعد ان قطعت ما قطعت من طول التأمل والاستبصار ، وبعد ان عركت كثيراً من التجارب العملية ، ايقنت بان علينا واجباً تزدية جميعا بصفتنا مصريين اولاً وبصفتنا هيئة اجتماعية ثانياً ، وان هذا الواجب يحفزنا الى تأسيس حزب جديد ، وان التهاون في تأسيسه وتنظيم قواه المشتتة الآن ، سوف يكون سبباً في ان نواجه عواصف اجتماعية وقلقل ، اعتقد ان تأسيس هذا الحزب على القواعد التي بثها في مشروعه كافية لحمايتنا من تلك الشرور الكبرى .

لهذا التي بمشروعى بين يدي الراى العام ، عسى ان يجد من المفكرين مجالاً للنقد ، وأن لا يتورط احد الى النظر فيه نظرة بعيدة عن مراميه الاجتماعية الصرفة .

والى ان تقدمت به الى صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا ، فاني انما اتقدم به اليه موقناً بأنى القي به في اكناف زعيم كفيل بانه يقدر الظروف وبقيس الحقائق بمقياس المنفعة العامة وحدها ، فان نجحت فذلك اقصى ما اتمنى ، وان لم انجح اليوم فاني على يقين كامل في انى سوف انجح غداً .

اسماعيل مظهر

مشروع لتأسيس

حزب الفلاح المصري

The Egyptian Agrarain Party

مقدم لصاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصري
يا صاحب الدولة

بالصفة العليا التي لكم في هذه البلاد كرئيس للوفد المصري ، وخليفة للزعيم
الأكبر المخفور له سعد زغلول باشا ، والمدافع الطبيعي عن الديمقراطية الحقيقية ،
وبحكم أنك الزعيم الأول للأغلبية الساحقة من المصريين ، أتقدم إليكم بهذا المشروع
الذي أعتقد أنه أعظم مشروع حيوي تركز عليه حياة مصر الاجتماعية حالاً ومستقبلاً ،
معتقداً اعتقاداً كلياً جازماً بأنه سوف يفوز بتأييدكم العملي والادبي . ولست في مقام
أنورط فيه إلى شرح المزايا التي يتضمنها أو المقتضيات السياسية والاجتماعية التي تجعل
قيام مثل هذا الحزب ضرورة طبيعية ، إن لم تشعر بضرورة الموضوع لها اليوم ، فسوف
تحمل مسؤولية إهمال التفكير فيها في المستقبل القريب ، على الرغم من شعور الناس
شعوراً خفياً عميقاً بالحاجة إليها الآن . وغير خاف أن حزب الفلاح المصري ، بحكم
طبيعة البلاد وتكوين مزاجها الاجتماعي ، هو أديم الأحزاب بقاء ، وأكثرها قوة ،
وأعزها جانباً . ذلك لأنه يقوم على ضرورات الطبيعة والاجتماع ، وفضلاً عن هذا
فإن حزب الفلاح المصري شيء محسوس بوجوده في الجوامع المصرية ، وإن لم يكن له
نظام موضوع . فهذا المشروع في الواقع تنفيذ لحاجة يشعر بها الناس ، وتنظيم لقوة
سياسية اجتماعية هي لدى الواقع أكبر قوة في البلاد . فإذا تفضلتم يا صاحب الدولة
بالموافقة على المشروع إجمالاً ، أي على الفكرة التي يقوم عليها ، مع ترك المناقشة في
التفاصيل للجنة التأسيسية التي سوف تنظر في نظام الحزب ومبادئه على القواعد الموضوعة
في هذا المشروع ، بدأنا بالتنفيذ تحت رعايتكم ، لنضع في الواقع حجراً أساسياً في بناء
المجد الخالد الذي سوف تشيده مصر بفضل زعمائها المضحين لها بكل ما يعز على الناس
من جهد وحطام . وتفضل يا صاحب الدولة بقبول التحيات مشفوعة بصيغ الاحترام من
خادمكم المطيع

مذكرة تهريرية

في مشروع ، حزب الفلاح المصري ، (The Egyptian Agrarian Party)
ليان المبررات الاجتماعية والاقتصادية التي تدعو إلى الإسراع في تأسيس الحزب
والعمل على تنفيذ مبادئه المشروحة في صلب هذا المشروع في أقرب فرصة ممكنة .

أثبت العلامة ، توماس روبرت ملتوس ، الانجليزي أن الأنواع الحية ومنها
الإنسان ، تتزايد بالتوالد على نسبة رياضية ، وأن نسبة زيادتها على تلك الصورة
الرياضية تقصر معه أية بقعة من بقاع الأرض عن أن تعضد نسل الأحياء . إذا استمرت
زيادتها الرياضية دون حائل يقف تيار هذه الزيادة ، ولا جرم أن هذه القاعدة تطبق
على الحيوانات في حالتها الطبيعية وتطبق على الإنسان في حالاته البدائية الوحشية . أكثر
بما تطبق على الحيوانات في حالة الإلها ، أو على الإنسان إذا لابتته حالات مدنية
معينة : فالحيوانات في حالتها الطبيعية تتوالد من غير أن تفكر في تحديد النسل . فإذا
زادت نسبة عددها الرياضية نسبة كبيرة سلطت عليها عوامل طبيعية ليس في وسعها
أن تدفعها بحال من الأحوال ، على الضد من الحيوانات في حالة الإلها ، فإن زيادتها
راجعة إلى إرادة الإنسان . وكذلك تحديد أنساها ومستولداتها ، يد أنها بحجة من
طوائف الطبيعة بعناية الإرادة البشرية . فإذا رجعنا إلى الإنسان في حاله البدائية ،
وجدنا أنه لا يخرج عن حكم الطبيعة العامة . فإنه إذا تناسل وكثر نسله وزادت نسبه
الرياضية في عدد الأفراد ، سلطت عليه من الطبيعة مهلكات تقف زيادة أفرادها عند
حد محدود . وهذا على الضد من الإنسان لابتته المدنية . فإنه يستطيع أن يدفع عوامل
الطبيعة بوسائل صناعية ، وفي استطاعه أن يتسود على الطبيعة وعلى قواسرها ، فيصبح
سيدا بعد أن كان مسودا . بل إنه يستطيع أن ينقذ من الموت والفناء أفرادا من نوعه
كتب عليهم الطبيعة آية الموت ، أن تركوا بلا عناية من علاج أو وسائل من الوقاية .
أضف إلى ذلك أن الطبيعة لا ترحم ولا تشفق . في حين أن من أخص صفات الإنسان
الشفقة والرحمة . والطبيعة تدفع الأحياء إلى الاحتفاظ بالنوع ، كما تدفع الفرد إلى الاحتفاظ

بالذات . ولكنها في الوقت ذاته لاتعمل على حماية النوع أو وقاية الفرد إلا بقدر ما تنهي النوع أو للفرد من فرص البقاء . فهي تسرف في الانتاج من ناحية ، ثم تسرف في الضياع والبذل من ناحية أخرى . وهي بقدر ما تسرف في التوزيع تضن بالابتكار . لهذا نجد أن الصور المتكررة ، وهي غالبا الصور التي تغلب في التأخر على الحياة العقلية جهد الفلة ، وأن الطبيعة تضن بها . فهي في هذه الناحية شحيحة بخيلة ، فحين أنها إذا أنتجت رمت علم الحياة بالملايين . وإذا أنت سلبه الملايين ، وهي في التوزيع لا يبلغ إسرافها حدولا يقف عند غاية . فليس يوجد في العالم شجرتان أو حيوانان أو إنسانان ، كلا بل زهرتان أو ورقتان ، هما صنوان ، لاتغير فيهما ولا تبارن بينهما .

إذا وعينا هذه المبادئ ، خرجنا منها بنتيجة لايجب علينا أن نتغافل عنها . فشعوب الأرض قاطبة تلهي اليوم بكثرتها والطبيعة تجود عليها بالافراد مسرقة إسرافها المعروف . والحضارة من وراء ذلك تؤيد إسراف الطبيعة في الانتاج . فلا مجاعات اليوم ولا أوبئة ولا وفيات بين الناس بالنسب المروعة التي حفظتها الاحصائيات خلال قرن ماض من الزمان على ما كان خلال ذلك القرن من وقي مقبلا بما سبقه من القرون . ناهيك بأن كثيرا من الامراض الوبائية الممقنة كالزهرى والملاريا والاتيبي والكوليرا مثلا ، قد أصبحت من أسهل الامراض علاجا أو وقاية . فانا أضفت الى ذلك طرق الوقاية من كثير من الامراض الحديثة ، عرفت إلى أي حد أيد الانسان باستكشافاته إسراف الطبيعة في الانتاج . فاذا تذكرت ان الانسان ان كان قد ساعد إسراف الطبيعة في الانتاج ، فانه قد ازادها شحا في الابتكار وضأ به ، خرجت من ذلك بنتيجة كبرى . ذلك لان ابتكار الطبيعة انما يكون من مجموع الافراد الذين يقدر لهم البقاء ، بعد أن تغربل قوا إسر الطبيعة وأغاصيرها الناتج من الافراد فتذهب بالأكثرية إلى الفناء وتبقى على ما يصلح للبقاء . فحين أن استكشافات الانسان ووسائله قد عمدت إلى الحد من قوة الطبيعة الابتكارية بأن هيات فرص البقاء لعدد أكثر مما تريد الطبيعة أن يبقى فيها . وهنا نجد أن الطبيعة ، بمساعدة الانسان ، قد زاد إسرافها في الانتاج وقل ابتكارها للافراد أو السلالات الممتازة . وهذه حالة كما أوجدها الانسان ، يجب على الانسان أن يبحث عن علاج لها ، يروح به عن مدنيته ويخفف وطأة الفوضى والاضطراب ، ويحد به من بواعث القلق الشديد البادية في جبين هذا العصر

و الدليل الثابت على هذا زيادة عدد النوع الانساني خلال أربعة القرون الفارقة
 زيادة اذا قسنا نسبتها بنسبة زيادته خلال القرون الوسطى ، أو القرون المظلمة كما
 يسمونها ، لما وسعنا إلا أن نرتاع وأن نشك في صلاحية الوسائل المدنية ، على رقيها
 وعظمتها ، لان تكون سادة ترتكز عليها الحياة الانسانية ، مشبعة كل نظامها من
 السعادة والطمأنينة . والمثل البسيط على هذا أن قارة كالقارة الامريكية استعمرت
 في أقل من خمسة قرون وازدهت بالنوع البشرى على فلة وسائل الوقاية والحروب
 الدائمة والثورات المحتاجة والمجاعات المدمرة . وكذلك لديك أستراليا مثل حتى على
 هذا . وكلما ازداد تسود الانسان على الطبيعة ازداد اسرافها في الانتاج وقل
 ابتكارها . وفي هذا ينحصر السبب في ما يبدو على جبين هذا العصر من بواعث
 القلق والشعور باقتراب الفورات الفجائية والاحساس العميق بان نظام المدينة الحديثة
 لا بد منهاراته لا بد من أن يتبدل الانسان بهذا النظام نظاماً آخر أقرب إلى حاجته .
 فالطبيعة مطلقة من قيود **الاستكشافات الانسانية** وعوامل الوقاية ، تذهب بكل
 ما لا يصلح للبقاء من الافراد ، ولا تبقى الا على الاصلح والاكثر انتاجاً والاشد مقاومة
 والاصفى عنصراً والامتن تكويناً والاعمق تفكيراً والاحول والاذكي والاعقل . فلما
 تدخلت العوامل الانسانية وزاد بها اسراف الطبيعة في الانتاج قلت مادة الانتخاب
 امام الطبيعة ، بل قيسيرها بقيود حديدية من ارادة الانسان واستكشافاته وما عرف
 من طرق الوقاية ، فقل ابتكارها . وخرج من مجموع ذلك نوع بشري مصطنع تزيد
 فيه نسبة الطالحين طبعياً واجتماعياً بنسبة ماهية الطبيعة من فرص الاسراف في الانتاج
 والشح في الابتكار . وبقدر ما يكون من أثر هذه الحالات في مجتمع تكون نسبة التدهور
 والانحطاط التي لا يدل عليها من شيء بقدر ما تدل ظواهر القلق والاضطراب البادية
 في حرثاته وتطوراته واتجاهات أفكاره الراجعة لدى الواقع إلى مشاعر واحساسات
 الخفي من أن تظهر لنا أو نكتسبها بحال من الاحوال . وبقدر ما يزيد من اسراف الطبيعة
 في الانتاج ، تكون نسبة التأثير على العناصر العليا في المجتمع . فان اسراف الطبيعة مقرونا
 بعوامل الوقاية والحماية للافراد غير الصالحين طبعياً واجتماعياً ، يحدث صورة من
 التطفل الاجتماعي ، هي أنكي ما صادف الجماعات الانسانية من الكوارث خلال كل
 الأزمان .

ولا ينبغي لنا أن نسي أن الأجسام العضوية أشبه شيء بين الاجتماع ، وحالاتها الحيوية أصبح ما يتخذ دعامة للبحث الاجتماعي . فالميكروبات مثلا ، لا بد من أن تحدث حولها وسطا وبيئة يلائمان حياتها ومطالب وجودها ، فأنك اذا لقحت كتلة من الجيلاتين بنوع من الميكروبات ، فلا تلبث الا قليلا حتى تلاحظ أن جزء من هذه الكتلة قد تغير تغيرا كيميائيا خلاصا به فعل الميكروب نفسه ، اذ يخلق من حوله بيئة تكافئ بين حاجات حياته وضرورات وجوده ، فاذا طبقت هذه الحالة على الاجتماع الفيت أن جماعات المدينة الحديثة ، كجماعات المتوحشين والهمج ، لم تخرج عن حكم هذه القاعدة . فان انقلاب الحالة الاجتماعية في اوروبا في أواخر القرن الثامن عشر ، وابتداء عصر الصناعة الانتاجية ، قد خلق بيئة جديدة مخالفة تمام المخالفة للبيئة التي حفت بالجماعات في القرون الوسطى . وهكذا تخلق الجماعات البيئة ، حتى اذا استقرت البيئة على نظام ثابت ، أخذت البيئة ذاتها تؤثر في الجماعات تأثيراً نجده في كل الحالات وهنا على طبيعة البيئة ذاتها . فالميكروبات ان أحدثت في المادة الجيلاتينية التي ذكرناها ، بدماء ذي بدء ، جوا وبيئة تلائمها ، فان تكاثر الميكروبات الى حد كبير يتبع في البيئة الطبيعية أثرها يقتضي على حياتها . على حياة الجماعة فلا وافرادا . وهذا الذي الواقع هو السر في قيام المدنيات ثم اضمحلالها وسقوطها . فاذا نكست حالات الاجتماع على حالات الحياة العضوية ، أمكنك أن تعرف الى أي حد تذهب مساوي الاسراف في انتاج الافراد ، من غير أية موازنة بين حاجات الجماعة ، وضمن الطبيعة بالابتكار .

ليست طبقات الجمعية المشتركة كلها على نسبة واحدة من القوة . فان الطبقات تختلف اختلافا كبيرا من حيث القدرة والكفاية . وبالمالارية فيه أن غير ذوى الكفايات أو كما يقول الاجتماعيون - الطالحون اجتماعيا - وهم النسبة الكبرى ممن تسرف الطبيعة في انتاجهم ويسرف الانسان في حمايتهم من الطبيعة - يحدثون من حولهم بيئة خاصة لا يستطيعون أن يعيشوا في غيرها لانها تلائم طبائعهم وتوافق مشاربهم ، بل لانكون مغالين اذا قلنا إن البيئة التي يخلقها غير ذوى الكفايات من حولهم ، عامل ذو شأن في تبيد قوى العناصر العاملة المنتجة في المجتمع . ومتواستقرت البيئة على شكل ثابت ، أخذت من ثم في التأثير في كل من استثم ريعها واندمج في طبيعتها فتصبح

نظاماً ثابتاً ، لآلآه مفيد مسير لمثل النوع العليا ، ولآلآه مساعد للطبيعة على الابتكار ، ولآلآه نظام طبيعي ثابت ، ولآلآه خطورة من خطى الشوء الطبيعي ، لآلآه من هذا ، بل لآله مرتكز على عنصر غالب فى المجتمع ، هو العنصر الذى يخلق اسراف الطبيعة فى الانتاج واسراف الانسان فى وقايتة من قوة الطبيعة الاستغلية التى تهى لها فى النهاية سبيل الابتكار

وليس لنا مع هذا أن نسى أن فى المجتمع الحديث نزعة الى التطفل هى نتاج لجماع هذه الحالات . انظر فى العالم العضوى وتأمل قليلا من مختلف صور التطفل الكامنة فيه والظاهرة ، تجد أن الدويبات العالقة بالاجسام الحية والنباتات النامية على جذوع الاشجار الكبيرة ، وقد التفت فروعها على أغصان تلك الشجرة بما يكاد يقنيا ويميتها ، اذا تأملت من هذه الحالات وأمثالها ، أيقنت بأن البيئة التى يخلقها الاسراف فى الانتاج مع تحديد نسبة القناء بما يخالف مطالب الطبيعة ، تقوى فى المجتمع نزعة التطفل أنظر من حولك فى نواحي المجتمع الخاف بك واستغرق ساعة فى التفكير من حل أولئك الذين يسخرون لذاتهم واهولتهم أقوى عناصر الاجتماع ليبدوا جهود تلك العناصر تبديداً لا يعود إلا نتيجة واحدة هى تقوية بيئة التطفل فى جسم المجتمع ، فانك تصل إلى النتيجة المحتومة . فإن غير ذوى الكفايات ممن تسرف الطبيعة فى انتاجهم ويسرف الانسان فى حمايتهم - على الرغم من أنهم يعيشون متطفلين على عاتق أقوى العناصر المنتجة فى الاجتماع ، - ممن تضن الطبيعة بهم كل ضن - فانهم يخلقون من حولهم تلك البيئة الفاسدة التى لا يقتصر تأثيرها على أنفسهم ، بل يتعدى إلى قتل المواهب العامة . لأن كل فرد يجد فى الحياة طريقاً يكفل له العيش متطفلاً مع غيره من الناس ، يزعج إلى البطالة والكسل ، ويقع العبء إذ ذاك على كاهل تلك العناصر التى يعيش من نتاج جهودها مجموع الذين تسرف الطبيعة فى قذف الحياة بهم ، ومن هم حولهم ممن يعيشون عيش التطفل على عواتق غيرهم ومن كد غيرهم : وليس لهذه الحال إلا نتيجة واحدة : مؤداها أن أضعف عناصر المجتمع تعيش متطفلة على أقوى العناصر . وكلما زادت العناصر المتطفلة ، قلت العناصر المنتجة . وهناك تؤثر إليه أثرها الخنوم فى القضاء على صور المدينة وعلى قوى المجتمع كل هذا وأمثاله قبض على خناق الطبيعة : وصد لنواميس الكون عن الانبعاث

في وجهتها الصحيحة . ولا ينتج الا أمرا واحدا . ينتج الفورات الفجائية وثورات الهدم والتخليم . والحقيقة أن الواجب يقضى بأن تضحى العناصر الضعيفة المتطفلة في المجتمع في سبيل تقوية العناصر المنتجة الضاربة في سبيل الارتقاء مدنيا وطبيعيا . لسرفت الطبيعة في الانتاج خلال كل العصور . ولكنها كذلك اسرفت في الهلاك والافناء . لتستخلص من الباقي - باقى الطرح بين الناتج والفاى - مادة للانتخاب تساعد على الابتكار ، ابتكار الكفايات النادرة الحدوث في الطبيعة . فلما تدخل الانسان باستكشافاته وحمى الذين كان من الواجب أن تفهيم الطبيعة ، تبدلت الحال كل مبدل .

كان المجتمع القديم ولا شبهة أقرب لمطالب الطبيعة من المجتمع الحديث . كان مجتمع هو بمثابة معمل طبيعي تنتخب فيه الطبيعة ما تريد وتتخذ منه ما تريد مادة لابتكاراتها التي تضمن بها ضناً كما قدمنا . اما في المجتمع الحديث فقد تعطل انتخاب الطبيعة وزادت الطبيعة ضناً بالابتكار . من هنا واجهتنا المشكلات الاجتماعية الكبرى التي تهدد المدنية الحديثة . ولا جرم ان المجتمع المصري قد أصابه من هذه العوامل نصيب سيزداد على كمر الاعوام . فاذا تبصرنا في الحالات القائمة من حولنا استطعنا ان نثقف بوسائل عملية مجتمعنا المصري من كثير مما سوف يواجه جماعات الغرب وأمريكا من عوامل القلق والفوضى والاضطراب .

يقول الكاتب العظيم هنرى جيمس ، إن تعليم شعوب يفرض عليهم عيش الفقر المدقع مع الطمع في استقرار الحالة الاجتماعية . هو مطلب بمثابة بناء هرم يرتكز في الارض على قته لاعلى قاعدته . وهذا قول حق من جميع الوجوه .

فالمصريون احدى سلالات النوع البشرى ، تلزمهم الطبيعة الاسراف في الانتاج ، وتلزمهم ، بضرورة ما تغرس فيهم من حب حفظ النوع والفرد ، أن يلجأوا إلى طرق الوقاية لكي يفوزوا ببقاء اكبر عدد من الافراد الناتجة . فاذا احدثنا الى ذلك مسايرتنا لمطالب المدنية ونشر التعليم بدرجاته ، ثم طلبنا أن نظل الحالة الاجتماعية مستقرة هذا الاستقرار العجيب الذي لا يهزه الا قليل من عوامل القلق السياسى ، وكتبنا على هذا الشعب أو على الاغلبية المعظمى منه عيش الفقر المدقع والحاجة الماسة واستبداد المولدين بالفلاح ، ذراع مصر الايمن ، كنا كن يحاول بناء هرم يرتكز على قته لاعلى قاعدته .

لا جرم أن هذه المشكلة هي أكبر المشكلات التي سوف تواجهنا في المستقبل القريب. فان امر العناية بالتعليم قد تضاعف وازداد أثره بالعناية بالشؤون الصحية قد صرف فيه من الجهد مالا يقل عن أمر عنايتنا بالتعليم ، وعلى الجملة أصبحنا أكثر اهتماما بكل شؤون الحياة بما كنا خلال عهد قريب . ولدينا امة اليابان مثل حي على أن الامم لا تحتاج الى زمان طويل لتبلغ اسمى مدارج الرقي والعظمة ، وانما تحتاج الى جهد وتحتاج إلى عزيمة . ونحن لا نقصنا شيء من هذا ، فالثروة فائضة والعزيمة بالغة والجهد مبذول . اذن فنحن على ابواب الازمة الاجتماعية . ان لم تكن قد اخذنا ندلف بقدمنا في لججها العاتية الشديدة .

اذا أضفنا إلى الاعتبار السابقة أن نظامنا الاجتماعي من شأنه أن يزيد الغنى غنى والفقير فقراً ، وان المضي على الخضوع لهذا النظام من شأنه أن يجعل الطبيعة عنصراً قوياً في تكوين الاسباب التي تقضي الى الازمات الاجتماعية الكبرى ، شعرنا إلى أي حد بلغت بنا الحاجة الى تكوين حزب اجتماعي يكون أساس الاصلاح فيه فلاح مصر باعتبارها أنه الأكثرية العظمى : وأصل الثروة . كما انه لا يجب أن يغيب عن اذهانتنا أن أعمال تكوينه سوف يكون مما قريب أساس القلق الاجتماعي ، لاعتن قصد ، ولكن عن ضرورات سوف تتكون في أفق حياتنا الاجتماعية

قيل بحق ان تعليم الفلسفة لا يخرج فلاسفة . غير أن هذا لا يجب ان يكون حائلاً دون تلقين الفلسفة . بل ان هذه الحقيقة تجعل التحوط في تلقين الفلسفة عامل في اخراج فئة من الناس تحيط بشؤون الفكر الانساني وتطوراته على قدر المستطاع . كذلك نقول بان تعليم الفلاح لا يخرج مصلحين دائماً . غير أن هذا لا يجب ان يصرّفنا عن تعليمه . بل يجب أن يجعلنا تحوط في تعليمه على المثل العليا ومسايرة لاغراض الطبيعة وآثارها في المجتمعات الحية ، وعلى الاخص المجتمعات العاقلة الشاعرة ، وهي المجتمعات الانسانية

وقيل أيضاً إن الانقلابات الاجتماعية نتيجة تخالطين خاصتين نفسيتين هما خاصتا الاعتقاد والانفعال . فإذا أردنا أن نطبق هذه الحقيقة على المجتمع المصري ، بان لنا مقدار الخطر الذي سوف يحقق بمجتمعنا اذا لم نبادر بان نتخذ من النظامات ما يجعل محل الطبيعة المطلقة في الجماعات البدائية

لا جرم أن اعتقاد المصريين بحقهم في الحياة أخذ يزداد . وكذلك احسبهم بالاستقلال في الرأي واحترام الذات ، وإن لهم في الحياة ما لبقية الناس . فإذا ثبت هذا الاعتقاد ، وهو لا شك من المحمّد ما يجب أن نسعى لغرسه في نفوس المصريين ، ثم استمر الحال على ما نرى من تحكم الطبقات وعدم الاعتراف بحق الفلاح في الحياة على نسبة أرقى وأوسع بحيث ترضى هذه النسبة مشاعره ومعتقداته ، تكون بجانب هذه المشاعر والمعتقدات انفعال يزداد أثره وهنا على وهن وحالا بعد حال ، حتى إذا بلغ أشده كان الانفجار وكانت الفورات الفجائية . ولا تسائل العقل بعد هذا في شيء ؛ بل تسائل المشاعر الموهجة وسائل النزعات المنوثة ووسائل النزوات المشبوبة ، إن كنت تحظى بحجاب



هذه اتجاهات أكاد ألمس نتائجها لمساء . ولقد زكت النزعة إلى هذه الاتجاهات القلائل السياسية وزاد الشعور بالذاتية . نظام الحكم الدستوري الذي يجب أن ندافع عنه بكل غال من عظام ونفس ، باعتبار المعهد الأساسي للترقية القومية . لهذا وجب علينا أن نبحث في أمثل الطرق والوسائل التي تحمينا الاغلاقات الفجائية والتي تصد عنا سيل الأفكار المتطرقة الحديثة التي تفيض علينا بها دوليات أوروبا الشيوعية ، التي نعتقد أنها لم تبنع إلا في مجتمعات لم تحمها الوسائل العملية من أحكام الطبيعة الصارمة ، ولم يفكر مصلحوها في وضع نماذجها الاجتماعية على قواعد تسير أحكام الطبيعة على نسبة كافية

وإنني لشديد الاقتناع بأن تنفيذ مشروع حزب الفلاح المصري على القواعد التي وضعها في مبادئه كافية بأن تحميها هذه الشرور وأنها كافية لأن تحمل نظامنا محل ما تريد الطبيعة أن يكون من بقاء الأصلح والامثل ، لاني الطبيعة ، بل في المجتمع لا يجب بعد الآن أن يكون هناك تفضيل للأسرة وللأجاء ولا المال ، بل للكفاءة . بذلك تحمل سلطة الإنسان محل الطبيعة وتتسود الكفايات العليا فتتروا بضغط شديد على الدنايا الاجتماعية وعلى الطالحين اجتماعيا وعلى المتطفلين ، فيحفظ التوازن ويبقى جسم المجتمع سليما من أمراض الفوضى والاضطراب . ذلك لاني اعتقد أنه تحريك الجماهير

وتوثيهم إلى الفورات الفجائية ، لن يكون إلا تحت تأثير كمفايات عليا ، صدها النظام الاجتماعي عن الانبعاث في طريقها المرسوم ، والذي هو حقها الطبيعي غير منازعة فيه .
ذلك لأن الكمفايات ككل شيء في الوجود إذا زاد الضغط عليها انقلبت إلى ضد
ها هو مقصود منها .

هذا إذا أردنا أن نكون أمة سليمة من الأمراض الاجتماعية ، بل ومن عدوى
الأمراض الشيوعية على الأخص . ولا جرم أن هذا الأساس هو أصلح الأسس التي
تمهد لنا سبيل تشييد حضارة تسد مطامعنا وتكفي حاجتنا ، باعتبارنا أمة قية من أمم
الأرض ، وباعتبارنا قسما صالحا من النوع البشري ؟

مذكرة بيانية

مقدمة لصاحب الدولة النحاس باشا رئيس الوفد المصري

ملحقة بمشروع تأسيس حزب الفلاح المصري .

The Egyptian Agrarian Party

يا صاحب الدولة : ويا زعيم البلاد .

الأحزاب السياسية وشبكة البقاء قصيرة الأعمار ، إذا قيس بقاؤها بأعمار الأمم .
ومثلها في هذه الناحية كمثل عمر الفرد بالقياس إلى الحزب . فالفرد أقصر من الحزب
عمر أم الحزب أقصر من الأمة عمراً . وأقصر الأحزاب أعماراً هي الأحزاب السياسية ،
وأطول الأحزاب أعماراً هي الأحزاب الاجتماعية .

وليس من شك بجانب هذا أن من الأحزاب ما يحتفظ باسمه دهوراً وأحقاباً .
ولكن الحقيقة أن الحزب يكون قد انحل وأعيد تكوينه خلال هذه المدة مرات عديدة ،
لأباً أثواباً مختلفة متغيرة تلائم ما يلابسه من ظروف الحالات ومقتضيات الحياة
على شعب مناحيها واختلاف صورها . فلا يبقى إذن من الحزب إلا الاسم دون
الجسم والكيان . والمثل الأكبر على هذا ثلاثة الأحزاب البريطانية . فإما من شك مطلقاً
في أن حزب المحافظين وحزب الأحرار قد احتفظ كلاهما باسمه . ولكن من ذا الذي

يقول بأن حزب المحافظين اليوم هو نفسه حزب المحافظين في عصر جيمس الاول
 أو عصر ولیم بت ؟ بل من ذا الذي يقول بأن حزب الاحرار اليوم هو نفسه حزب
 الاحرار في عصر قريب ، كمصر غلادستون أو اسكوت ؟ والسبب في هذا أن ضغط
 الحوادث السياسية على شدته متنوع الصور خاضع لمقتضيات الارادة الانسانية ، على
 الضد من ضغط الحوادث الاجتماعية فانها تابعة لنقط من النشوء الطبيعي يجعل ضغط
 حوادثها ، مهما كان شديدا ، فيه من صفة البقاء والاستقرار قدر كبير ، لاها على الاقل
 بعيدة عن التأثير بارادة الافراد أو الاحزاب ، و فرق بين شي ، يتاثر بالاهواء الانسانية وآخر
 لا يخضع لالقوات الطبيعية وقواميسها . وهذا مثل حزب العمال الانجليزي ، فهو عندى
 أكثر الاحزاب بقاء ، وأكرمها طبيعة وأقواها نظاما وارضاهما لطبيعة المقتضيات ،
 وأكثرها تمسكاً بالطبيعة البشرية . أما السبب في هذا فينحصر في أمر بسيط جهد
 البساطة . هو أن للحزب جالين . الأول سياسى يجمع فيه مزيجاً من السياسة التقليدية
 للامبراطورية البريطانية بمبادئ تلزمه بإعطاء طبيعة تكوينه المدنى ، والثانى اجتماعى
 صرف ، يخضع فيه لمقتضيات طبيعة الاجتماع الانسانى . ولاشبه مطلقاً في أن قوة
 الحزب تعتمد من هذا التكوين المزجى العجيب . إذ ترتكن ناحية المتراوحة غير
 الثابتة - أى الناحية السياسية الصرفة - على ناحية الثابتة غير المتراوحة - أى الناحية
 الاجتماعية الصرفة . هذا في الحقيقة هو السر في قوة حزب العمال ، بل السر في أنه عما قريب
 سوف يكون أقوى الاحزاب البريطانية ، إن لم يصبح أقوى أحزاب العالم أجمع .
 أما أنه سوف يكون أقوى الاحزاب البريطانية ، فهذا أمر لا يشك فيه انجليزي اليوم
 أما من حيث قوته العالمية ، فذلك لأنه حزب جمع بين ثلاثة مبادئ . من أغرب أمور
 الدنيا أن يجمعها في كيانه حزب واحد ، فهو كما يأتى :

(١) اشتراكية بلا شيوعية

(٢) فاشية بلا استبداد

(٣) ديمقراطية بلا فوضى

فهل يمكن أن ننفع في مصر من مثل هذا النظام ؟ لاأظن أن هذا مستحيل
 إذا استطعنا تنفيذ مشروع ، حزب الفلاح المصرى ، واتحيننا في تنفيذه قواعد النظام
 الانجليزى كسرى

يا صاحب الدولة

ليس في العالم اليوم من ينكر إن الحضارة الانجلوسكسونية هي أثبت الحضارات نظاما وأوسعها حريات وألينا كيانا، مع أنها أقوى الحضارات تماسكا، ملكية، أقل حنوقا من جمهورية، ودستور، مستمد من روح الأمة وتقاليدها، لامن ذهنية المشرعين، وتقضاء، صار مضرب الأمثال في احتذاء، قواعد العدل، وصحافة هي أنزه ما عرف فوق ظهر الأرض، وجامعات، هي في الحقيقة معاهد لاخراج رجال خصبوا بالاستقلال في الرأي والحربة والشجاعة. وسياسة دولية، ظلت متصرة على أوروبا مجتمعة خلال قرنين من الزمان. وسياسة استعمارية، اذافتها سياسة الفرنسيين - اكبر أمة استعمارية اليوم بعد الانجليز - كانت النظام والعدل، بجانب الفوضى والاستبداد والانحلال، حقائق، لا يتشكك فيها اكبر المتربين، ومفاخر لا ينزع الانجلوسكسون فيها شعب من شعوب الارض قاطبة.

هذه مقدمة بسيطة نخرج منها نتيجة كبرى.

يتكلم اللغة الانجليزية اليوم ثلثا من المسكونة على الأقل. فالتد واوستراليا وجنوب افريقية وأمريكا وكندا كلها تتكلم اللسان الانجليزي وتنتشر الآداب والثقافة الانجلوسكسونية. هذا الامر البسيط، بصرف النظر عن الحقائق العامة كتغلب العنصر الانجلوسكسوني في العالم وبه العنصر اللاتيني بالانحلال يجعلنا نتفقد أن للحضارة الانجلوسكسونية المستقبل في العالم، وان الامم الناشئة، كالأمم السامية الحديثة باتت حال الحضارة الغربية ومنها مصر، اذا استطاعت أن تجاري تيار الحضارة الانجلوسكسونية الحديثة، وانبعثت على الاخص في نظامها الحكومي والتعليمي، فازت عما قريب على امم اللاتين. ذلك لان الامم اللاتين تقايد تصدها عن اتحال الحضارة الانجلوسكسونية، في حين ان تقايد الامم السامية القديمة قد تبلورت وتحدت فلا تصدها عن اتحال حضارة المستقبل. وفي اعتقادي أن هذه الفرصة لا يجب أن نضيعها بل يجب أن ننهزها وان نعمل على تقويتها بنظمات تتشرب معها الأمة روح هذه الحضارة، من غير ان نجعل الأمة تعس بتقویر نحض من هذه الحضارة من طريق المزج بين البرنامج الاجنابي والبرنامج السياسي

يا صاحب الدولة

لأنكر أن مطلقاً في أن هذه الوسيلة لا تصيرنا انجلوسكروناً بالطبع ، ولكنى أرجح
كل ترجيح أن اتعاه اساليب التفكير الانجلوسكرونى في تطبيق الديمقراطية ونهم
مبادئ الحكم على القاعدة التى يفهمونها ، تمدنا بأكبر وسيلة نستطيع بها التغلب على
العقبات التى تعترضنا فى تكوين حضارة جديدة على قواعد ثابتة بل واعتقد أنها الوسيلة
التي بها نستطيع التغلب على لائبن البحر الأبيض المتوسط ، فحتفظ بمركز ممتاز بين
امم الغرب ، شيه بالمركز الذى عزاه بين امم الشرق . والذي يجب أن نعمل على
الاحتفاظ به على التوام .

يا صاحب الدولة

اعتقد أن القواعد التى قررتها فى هذه المذكرة هى القواعد التى يجب أن يقوم
عليها عملنا كاساس للمستقبل ولا شبهة مطلقاً فى أن قيام الوفد المصرى بتنفيذ مشروع
حزب الفلاح المصرى يجمع فى يد الوفد بين القوة السياسية والقوة الاجتماعية ، ويخص
مبادئ الوفد السياسية بصفة الاستمرار إن تلوحت من حولها عواىل السياسة فى
ظرف من الظروف أو تحت تأثير عوامل من الصعب تقديرها الآن .

إن الوفد المصرى هو الحزب الوحيد الذى يستطيع أن يضطلع بهذه الأمور بيقين بل
هو الحزب الأجدر بأن يمد يده لهذا المشروع بكل مساعدة مستطاعة ، وهو بهذا يرجع
الجمع بين البرنامج السياسى والبرنامج الاجتماعى . فيحوز فى السياسة المصرية خاصة
والسياسة الدولية عامة نفس القدرة يختص بها حزب العمال الانجليزى

يا صاحب الدولة

هذا ما أرى فى المشروع عموماً زاياد ولا أظن الا اننى فائز فى النهاية بتعصيدك وعطفك
وكلى امل فى نجاح هذا المشروع الذى هو نجاح لمصر التى ضحيت من اجلها وسوف
تضحي بكل ما بين يديك من قوة وجهد وجسام
وتفضل يا صاحب الدولة بقبول احترامات

خادمكم المطيع

حزب الفلاح المصرى

The Egyptian Agrarian Party

مبادئ الحزب الاجتماعية والسياسية

شرحنا فيما بعد المبادئ الاجتماعية التي نرى أن الحزب يجب أن يقوم عليها لتكون أساساً ومبرراً لتكوينه
أما في الناحية السياسية فلا سياسة للحزب إلا السياسة الوطنية أو الدولية التي
تقر عليها

الرياسة الوفاء

على المبادئ القومية التي بثها المفكر الزعيم الأكبر

سعد زغلول باشا

مبادئ الحزب الاجتماعية

(١) التسوية بين الناس في فرص الحياة

تقضى الديمقراطية المعقولة بأن يتساوى الناس في فرص الحياة كما يتساوون أمام القانون . كذلك تقضى الحرية الصحيحة بأن كل امرئ عليه وزر ما اكتسب وله قائمة ما كسب . فإذا سيطر هذا القانون الطبيعي على نظام الاجتماع فإن كل فرد يحظى من الدنيا بقدر ما تؤهل به مواهبه وتنشئ كفاياته في دائرة القواعد الطبيعية ويظل النظام الرأسمالي قائماً على قواعد الحرية والآداب العامة

هذا تتوفر أسباب المساواة في إعطاء كل فرد من أفراد الجمعية فرصة مساوية أو مقاربة لما لغيره في الحياة ، ويترك الجميع يرتفعون في فناء الحرية الواسع ، والكل يورثون النظام الاجتماعي القائم على نتيجة مواهب الفرد وكفاياته ، نواتج مجهودهم . وبذلك نضع نظاماً تسود فيه المساواة النسبية المرتكزة على منتج المواهب الفردية

وتقتضي على الوهم السائد في المساواة المطلقة التي هي لدى الواقع عبارة عن وهم صرف
وخيال محض ، وتحفظ نظامنا الرأسمالي ليكون قاعدة للحياة الاقتصادية للبلاد ،
على الحدود التي سوف يحدد بها في مبادئ الحرب

(٢) نشر التعليم العام وتهيئة فرصة التعليم العالي لأكبر مجموع من الأمة
لاشبهه مطلقاً أن أقوى سلاح يتسلح به الفرد في نظام المجتمع في العصر الحديث
هو التعليم سواء كان علمياً أو فنياً أو صناعياً . كما أن طبيعة العصر الاتجاهي الحديث
قد أضعفت من سلاح المال ، بقدر ما كان لهذا السلاح من قوة في العصر البائد عصر
الاقطاعات الذي ظل أثره قائماً في مصر إلى عهد قريب . فإذا أردنا أن نضمن للناس
فرصاً متساوية في الحياة ، اضطررنا إلى وضع نظام نكثرفه من الجامعات ودور
الثقافة على اختلاف ضرورتها ، بحيث يضمن النجباء في أبناء الأمة بصرف النظر
عن مقدرة أسرهم المالية ، فرصة في التعليم يتساوون فيها مع أولاد أصحاب رؤوس
الأموال الكبيرة
وتخفيفاً لهذا روصول النتيجة المرجو ، فيبدأ يجب نشر التعليم العام على صورة
تضمن اظهار مواهب الافراد في حال تعليمهم ، ليكون ذلك سبباً لبلوغ النجباء منهم
على اختلاف مراكزهم الاجتماعية ، إلى التعليم العالي

(٣) تحديد ملكية الارض الزراعية وزيادة نسبة صغار الملاك

لاجرم أن أكبر خطر يتعرض له شعب زراعي يسكن وادياً محدوداً كوادى
النيل، هو ترك مسألة الملكية من غير تحديد لللكية التي تملك . فان هذا من شأنه أن
يزيد الفنى غنى والفقير فقراً . بل ان هذا من أكبر العوامل التي تنقص من عدد
صغار اصحاب رؤوس الاموال . وفي ذلك خطر كبير على النظام الاجتماعى يزعم من
قواعده ويهد من أساسه .

والمتروح أن تحدد الملكية في النهاية القصوى بخمسائة فدان بملكها رأس عائلة وأولاده
في حال حياته . وبحكم التوريث بعد الوفاة نصل من غير احتياج للقيام بأعمال يشعر

معها الناس بصف ، إلى هذه النتيجة . فمن يملك الآن ١٠٠٠ ر فإني أقسم بعد وفاته على اثنين فيملك كل منهم ٥٠٠ . . . ثم تقسم على عشرة بعد وفاتها وبهذا يصل إلى النتيجة المرغوب فيها من غير حاجة للانتحاء إلى عمل غير عادي أو نزاع قهري للأحكام .

وهذا الأمر يزيد من عدد صغار أصحاب الاطيان فيعم الرخاء ويزيد الناتج من الغلة بحكم الضرورة ويصبح في البلاد رأس مال نقدي تنشأ به البنوك والشركات والمصانع والاساطيل التجارية وبقية المشروعات التي تفوتنا فيها الأمم الأخرى .
وعندي ان تنفيذ هذا المبدأ أكبر عامل على استقرار الحالة الاجتماعية وضمان بقائها مستقرة أطول عصر يمكن في المستقبل

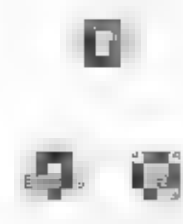
(٤) انشاء المصانع والمعامل برؤوس أموال مصرية وشركات مصرية بحتة إن تحديد ملكية الاطيان الزراعية من شأنه ان يزيد رأس المال النقدي في يد الافراد .
فإذا قام مشروع مصري يؤسسه مصريون يحرم عليهم اشراك رؤوس أموال أجنبية فيه ، بل يكون كبنك مصر شركة مصرية بحتة . وهذا بخلاف الشركات التي يؤسسها الاجانب والتي ستكلم عنها في المادة (٢٣)

(٥) الغاء الحروب والحض على كرهيتها

لا حرم أن الحروب من أجزا المصائب التي تصيب الأمم . وعلى الرغم من أن الفكرة العلية في أساسها قد تغيرت بفضل مباحث العلماء فلم تصبح ضرورة اجتماعية طبيعية ، بل ثبت أنها عبارة عن أرضاء شهوات ودوافع يمكن قمعها وكنيتها . فان التجاعيد الدول العظمى لا يزال يؤيد تهيؤ الحرب لهذا يدعو حزب الفلاح المصري إلى الغاء الحروب وعدم الاشتراك فيها الا للدفاع عن النفس من عدو مهاجم على اعتقاد ان الحروب منهكة للأمم مبددة للثروات مبددة لخزونات القوة الحيوية في الشعوب

وحزب الفلاح المصري مع هذا المبدأ يحترم كل المسؤوليات التي ترتبط بها الأمة لازالة اية امة من الأمم .

(٦) غرس روح الاخاء الشعبي بين الأمم
الغاء الحروب لا يكون الا بغرس روح الاخاء الشعبي بين الأمم وعدم النزوع الى
الشتمات التي تسبب الكراهية المتبادلة بين الجماعات، لهذا يعمل حزب الفلاح المصري
على توثيق عرى الصداقة بينه وبين امم العالم على اختلاف جنسياتها وعقائدها

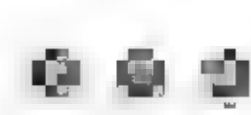


(٧) محاربة المبادئ البشفيه

تقوم الشيوعية والبشفيه على مبادئ خيالية — مساواة — اخاء — حرية — فالساواة
تتافى الحرية ، والحرية تقتضى المنافسة المشروعة بين الافراد ، فهي بذلك تتافى الاخاء
على المعنى الشائع الذي يلوح به الشيوعيون للناس ، اذن فهي اساس للفوضى الاجتماعية
ودواء دلت التجارب على انه غير ناجع في شفاء الامراض الاجتماعية التي
نشأت مع حلول العصر الاتاجي الحديث ، لهذا يحاربها حزب الفلاح المصري بكل
قوة لانها تتافى مبادئه القائمة على اشتراك الناس في فرص الحياة وتقوية مبادئ الفردية
(٨) وضع الجيش المصري (والاسطول المصري عند انشائه) تحت

تصرف عصبة الأمم، ليكون بمثابة جزء من البوليس الدولي تستخدمه عصبة
الامم تحت اشراف القيادة المصرية في تنفيذ قراراتها .

تظل عصبة الأمم مسألة نظرية صرفة ويظل عهدا قانونا غير منفذ عالم تجد لها
من القوة ما تفقد به قراراتها اذا عصتها امة من الأمم المنظمة إلى عهدا . و مصر
تفخر بانها أول أمة من أمم الارض تضم جيشها واسطولها تحت تصرف العصبة
متحملة كل مشقة وتضحية ليكون بمثابة بوليس دولي يقر العدل في نصابه كل ما اعوز
الحق قوة تنصره



(٩) العمل على اقناع اكبر عدد ممكن من الدول بمبدأ جعل جيوشها
واساطيلها تحت تصرف عصبة الأمم لتكون بمثابة بوليس دولي .

لا جرم أن قبول الدول لهذا المبدأ تحت ضغط شعوبها ، اذ تشعر بالحاجة إلى
السلام ، اكبر عامل على انقاص الجيوش والاساطيل وأعظم ضامن للسلام وقرار

العدل في نصابه . فإذا أمكن تنفيذ هذا المدعى فلا تمضي سنوات قلائل حتى تصبح جيوش الدول عبارة عن بوليس دولي تحت تصرف عصبة الأمم . وفي هذا تحقيق عملي لما كان يعد حلاً وخيالاً منذ عهد قريب

(١٠) تحسين الحالة الصحية بين الفلاحين والعمال

ثمانية ملايين مصري مصابون بالبلهارسيا . والمصابون بالانكلنوما عدد لا يقل ثرويعا للنفس عن هذا العدد . والمرضان من الأمراض المتوطنة في مصر ، وجدت آثارهما في الجثث المحنطة منذ آلاف من السنين . وإذا كانت لدينا إحصائيات دقيقة كالأحصائيات التي ينظمها الأمريكيون ، لاستطعنا أن نعرف مقدار ما يصيب على البلاد من إنتاج بتأثير هذه الأمراض بما تستنزف من القوى وتقتل من النفوس . فمن واجب حزب الفلاح المصري ، أن يعمل بحمد على حماية الفلاح بكل الطرق الممكنة من هذه الأمراض وتشجيع الأبحاث العلمية المؤدية إلى القضاء على الأسباب المحدثة لها . كذلك لا يخفى أن نسبة وفيات الأطفال في مصر مروعة ، لهذا يعمل حزب الفلاح المصري على إرشاد الأميات الفلاحيات إلى طرق العناية بتربية الأطفال ومطالبة الحكومة بتعيين أطباء اختصاصيين في أمراض الأطفال في كل مراكز القطر المصري ، ولواحتياج الأمر إلى زيادة الضرائب بما يوازي سد النفقات الضرورية لجعل العيادات مجانية للرضى من الأطفال

(١١) الزام أصحاب الاطيان ببناء مساكن تتوفر فيها الشروط الصحية للفلاحين وتنظيم القرى المملوكة لصغار الملاك على القواعد الصحية الحديثة : ان من أعظم ما أصيبت به البلاد في كل عهودها التاريخية أمران : الجماعات أولا ونسبة عدد الوفيات ثانيا : أما الآن فقد أمنت البلاد شر الجماعات ولا تعالى اذا قلنا إن وقوع جماعة في مصر يكاد يكون في حكم المستحيل الآن . أما نسبة عدد الوفيات فكبيرة وعلى الأخص عند حدوث الوبائيات الوبائية : والسبب الأكبر في ذلك شكل المبيشة والمساكن : فالحزب يرى من أول واجباته أن يعمل على سن قانون ببناء العزب

الملوكة لكبار أصحاب الأقطان والقرى على نظام جديد تتوافر فيه الشروط الصحية على القواعد الحديثة . ويكون من المسائل الأساسية في هذا التشريع فصل حظائر المواشي عن البيوت فصلاً تاماً وبناء أفران عامة كالتى ترى في المدن ومستنجات حديثة الطراز ومرشحات لمياه الشرب :

(١٢) التوسط بين أصحاب الأقطان والفلاحين في إبان اشتداد الازمات المالية أو حدوث الظروف القاهرة لحفظ التوازن بين مصالح الطرفين .

في البلاد الزراعية وعلى الأخص في البلاد التى تكون علاقة المالك فيها بالزارع علاقة مؤجر ومستأجر بالمال لاعلاقة المستأجر من الغلة ، تكثر حدوث الازمات المالية الشديدة فجأة وبلا انذار : هذا اذا تذكرنا أن ثمن المحصول الرئيسى في بلادنا وهو القطن ، متوقف دائماً على مقدار ما ينتج منه في البلاد الأخرى . لهذا يجب أن يعنى الحزب بوضع نظام للتوسط بين أصحاب الأقطان والمستأجرين (والمزارعين) عند حدوث مثل هذه الازمات حماية ليد العاملة من الفقر المدقع الذى يعيش في أكتافه أكبر مجموع من فلاحي مصر في أغنى بقاعها إنتاجاً للمحصولات الزراعية . ومن أكبر طرق الإصلاح التى يجب أن تبأثر بطريقة عملية تلقين الفلاح طرق الاقتصاد الزراعى على القواعد الحديثة .

(١٣) العمل على رفع أسعار المحاصيل الزراعية وإيجاد أسواق لزوج فيها في أنحاء العالم :

لرفع أسعار المحاصيل يجب العمل على الاكثار من نظام البنوك القروية برأس مال صغير وفوائد قانونية تحمى المزارع من يد التاجر في إبان الازمات المحلية التى تتكرر في كل سنة على وجه التقريب ، ثم السعى في إيجاد أسواق محلية أو خارجية لتصرفها بحيث يضمن فيها جزء من ربح التاجر الزائد عن المعقول للفلاح المنتج لها .

(١٤) حماية الاصناف العليا من القطن المصرى . اعتبارها الثروة الحقيقية للبلاد . تمتاز مصر بإنتاج أنواع خاصة من المحاصيل كالقطن السكرارى مثلاً . فمن

واجبات الحزب حماية هذه الاصناف بطرق عملية والعمل على الاكثار منها وتوليد
اصنافها العليا احتفاظاً بثروة البلاد الحقيقية

(١٥) تهية المهاجر الزراعية للفلاحين وعلى الاخص السودان

ان زيادة عدد سكان مصر زيادة مطردة يجعل التفكير في امر المهاجر من الآن
أمراً ضرورياً ، والواجب أن يفرس في عقلية الفلاح المصري من طريق القرية حب
الاستثمار الانتاجي في اقطار غير القطر المصري تمهيداً لما سوف تواجهه من ازمة اجتماعية
في المستقبل القريب تحتاج فيها الى من قوانين الهجرة الاجبارية ان لم يفرس في
نفسه الفلاح المصري حب الاستثمار والانتاج في بلاد زراعية اخرى ، وعندى أن
المهاجر نوعان مهاجر غير طبيعية يضطر لها عن الضرورة : كفلسطين وسوريا والعراق
وشمال افريقية ، ومهاجر طبيعي واحد هو السودان

(١٦) المطالبة بحق مصر في السودان كاملاً باعتبار المهاجر الطبيعي للفلاح المصري
بما ان السودان هو المهاجر الطبيعي للفلاح المصري ، فيجب الدفاع عن حقوق
مصر فيه كاملة وبكل قوة من الوجهتين السياسية والمالية

(١٧) حماية ماء النيل والعمل على جعل سياسة الماء خاضعة لحكومة
مصر و واقية بحاجة البلاد أولاً .

بما ان وادى النيل كل لا يتصل عملاً بالقاعدة الطبيعية القائمة ، الانهار تصل
والجبال تفصل ، — وبما ان ماء النيل ليس باقل ضرورة للمصري في السودان منه في
مصر ، اذن وجب العمل على حماية ماء النيل بكل الطرق المستطاعة مع جعل سياسته
المالية خاضعة لحكومة مصر واقية بحاجة مصر أولاً ، والسودان ثانياً .

(١٨) العمل على زيادة الانتاج من المناجم المصرية والسودانية
المناجم المصرية والسودانية كثيرة ومعادنها عظيمة الفائدة مضمون بها الثروة

الحقيقية ، فيجب العمل على زيادة الانتاج منها وعدم التصريح باحتكارها للاجانب ،
إلا اذا اشتركت رؤس الاموال المصرية فيها بقدر كبير لا يقل عن ٥٠ ٪ في المائة
على كل حال

(١٩) العمل على زيادة الثروة الاهلية بزيادة مصادرها الزراعية كزراعة
الفواكه وغيرها

لا يزال المصريون في مجموعهم يتبعون القاعدة القديمة في الانتاج بقدر الحاجة ،
وما زاد عن حاجتهم في المائة السنة الأخيرة جاء رغم اتوفهم باصلاح طرق الري
وتثبيت قواعد الحكم ، اى تأمين الانفس وتأمين الحقوق ، وفي اتباع هذه القاعدة ضياع
ثروة البلاد من اوجه كثيرة اهمها الاعتماد على محاصيل محدودة الموارد محدودة
الاسواق لهذا يجب العمل على زيادة الثروة الاهلية بزيادة مصادرها الزراعية

(٢٠) تعليم الفلاح طريقة تربية الدواجن باعتبارها جزءاً مفقوداً من
ثروة البلاد

ان طريقة تربية الدواجن من الثروات الحقيقية لهذا يجب العمل على تعليم الفلاح
بوسيلة عملية طريقة تربية الدواجن باعتبارها احدى مصادر الثروة الحقيقية في قطاع
زراعى كالقطر المصرى

(٢١) ادخال الطرق الفنية العلمية الحديثة في الزراعة وتهيئة الظروف
لائتفاع صغار الفلاحين بها

لانكران أن الطرق التى يتبعها الفلاح المصرى في الزراعة لانفى بحاجات العصر
الحديث ، فيجب ادخال الطرق الفنية العلمية الحديثة في الزراعة وتهيئة ظروفها لتكون
شركات قروية للقيام بمهام الزراعة كالحرث والضم والدراس وما الى ذلك تمهيداً
للاقتصاد في وقت الفلاح وحماية لمواشيه وقواه التى يستطيع صرفها في سبل العمل
لمنتوجات اخرى

(٢٢) تحريم بيع الاراضى لغير المصريين الا لاجل محدود وسن قانون بذلك

هذه مسألة ذات أهمية كبرى . فكل البلاد الزراعية تحصى اراضيها من الانتقال الى أيدي الأجانب الا مصر . وحيا في الانتفاع بجهود الأجانب وعدم حرمان مصر من أوجه الانتفاع برؤوس أموالهم ، يعمل الحزب على سن قانون يحرم فيه على المصريين بيع اراضيهم لغير مصريين الا لاجل على القاعدة المنبثة في إنجلترا مثلا

(٢٣) سن قانون بتحريم انشاء الشركات الانتاجية وغيرها اذا لم يحتفظ بنصف أسهمها على الأقل للمصريين

يعمل الحزب على سن قانون يحرم فيه على الحكومة "مصر" بانشاء شركات اجنية الا إذا احتفظ بنصف أسهمها لرؤوس الاموال المصرية . وكذلك بيع امتيازات الشركات التي تنتهى آجالها وتنتقل للحكومة الى المصريين دون الأجانب بحيث تكون ملكا للمصريين دون غيرهم

ARCHIVE

(٢٤) ضم النقابات الزراعية الموجودة او التي توجد لسياسة الحزب وطنيا واجتماعيا

بما أن النقابات الزراعية تعمل لبعض الغايات التي يعمل لها الحزب ، فإن من سياسة الحزب الاساسية ضم النقابات اليه وطنيا واجتماعيا لتوحد الجهود في سبيل الصالح العام

(٢٥) تلقين الفلاح المصرى معنى الاستقلال في الرأى والشجاعة على ابدائه وطرق الدفاع عن حقوقه وتحبيب الحرية اليه وغرس مبادئ الفضيلة في نفسه يشعر الفلاح المصرى شعورا عميقا مؤلما بأنه بمعزل عن الحكومة وأن الحكومة أكبر أعدائه . وهذا الشعور العميق يختفى وراء الظواهر التي تلوح على وجه الفلاح المصرى من حب الحكومة واحترامها . والسبب في هذا يرجع إلى أمرين :

الاول : استبداد الحكومات التي توالى على مصر حكما منذ أبعء الازمان . والثاني :
معاملة الفلاح كأنه كائن بلا حقوق مدنية ، سواء أمن جانب الادارة المباشرة للحكومة ،
أم من جانب أصحاب الاملاك الذين هم في معاملتهم للفلاح أشبه بأصحاب القطاعات في
العصور الوسطى . لهذا يجب السعى على ترقية مستوى الفلاح المصرى خفيا . ليستطيع
الدفاع عن حقوقه الطبيعية ازاء الادارة وازاء أصحاب الاملاك

المؤتمنة الراقية

أمرها متروك للجنة التأسيسية للنظر في وضع قانونها وعلى الاخص في المسائل
الآتية :-

- ١ - الرياضة تكون دائما لرئيس الوفد المصرى
- ٢ - الكرناتارية تكون دائمة لصاحب الاقتراح ومن بعده بالانتخاب
لمدة خمس سنين
- ٣ - نظام الحزب
- ٤ - لجنة الفرعية
- ٥ - قبول الاعضاء والتفريق بين اعضاء عاملين ، واعضاء متقنين
- ٦ - اللجنة الادارية .
- ٧ - اللجنة التنفيذية .
- ٨ - مهمة الكرناتارية .
- ٩ - امانة الصندوق .
- ١٠ - تأسيس جريدة باسم « الفلاح »

اسماعيل مظهر

ملك يقرأ

الوصف لصورة تمثل حسناء تقرأ وقد أسندت كتابها الى جحجة بشرية

يا حبيذاً التخييل والتصوير
ملك يضيء من الذكاء جبينه
تخذ المهاد من التري ببساطة
وترى الأزاهر والغصون تحفه
وعليهم برود الملاحة سايع
أضفى على أكتافه مناجاة
ويوجتيد تورده وتخير
وبناهيته ترى اللذات والهوى
ملك تيجلي محتويه النور
إن الجمال لبا الذكاء جدير
إن التري للناعمين ورير
فكأنهم وسائد وستور
فالجسم بض والشباب غضير
أنقى من الذهب الكريم شعور
ولعله عجب الشباب يمور
بما وجان : مدافع ومعير

إن الطبيعة في جمال حبيبها
وتود إخفاء للهاره رشيعة
وكأنما تبدي بدهة شاعير
تبدى الطليق وأر بها تسخير
إن التعمد بالجمال يحور
إما ارتأى شيئاً بدى التعبير

يملو كتاباً فيه آيات لها
ترب النفوس حياة رويح فاضل
لكن شباب سرور دليار رأى
ولربما قد كان رأس مليحة
نلتى عليه الكتب وقت قرائه
وقع جميل في التهي مشكور
وتبين عن طرق الهدى وتسير
عظماً يحور به الفتا ويغير
يزهو عليه الحسن وهو طرير
فاحجب لصرف الدهر كيف يدور

وكأنما الفنان يعلن مفضيحا
الحرم طوم :
إن الحياة ضلالة وغرور
محمد عسري الصديق

على السيفود



والسيفود ناري لو تكلفت
بمجاهرتها حديداً ظن شعبياً
ويشوي الصخر يتر كره ماداً
فكيف وقدر ميتك فيه لحماً ؟

« مفتاح نفسه » وقفل نفسه ١١١

— ٤ —

يسرنا أن يكون الأدباء والكتاب قد أخذ كل منهم بمحاذرة جهده أن يكون هو
المغفل الذي يشهد للعقاد بأنه أديب أو شاعر أو كاتب بعد أن مررنا الاعلانات
الكبيرة الملوثة التي كانت ملصقة على هذا الحائط ١١١ وبعد أن أريناهم الحائط نفسه طيناً
وحجراً ، لأصباغاً ولا ألواناً ، وما هو إلا الحائط وما هو إلا العقاد
ممن أديب الآن يحسر أن يظن في هذا العقاد — اذا أبعد في حسن الفن —

الا أنه كاتب جرائد يحسن صناعته ويستجمع آلائها من الاطلاع المتنوع والترجمة
ثم . . . ثم الصفاقة والمكابرة والكذب السياسي ، ثم الدجل العالي
الصحافي ١١١١ وانتهى

اما العقاد الذي كان تحت الاعلانات . . . فيها هبات وهبات وقد كان أول نصحه
حارده من جريدة البلاغ لان هذه الجريدة الكبيرة كانت بمنزلة انصيف شيه ، وتخفى
عليه ، وتجعله (نايه)

ومن العجيب ان رجالا من حكومة العراق كانوا من المخدوعين به أو فيه أو منه
فأرادوا أخذه الى العراق مدرسا للآداب العربية وكادوا يحنونها على الأدب اغترارا
بذويق الحائط ولكنهم تنبهوا أخيرا أن رأوا العقاد على السفود وتركوه لما به
ولولا ذلك لما عرفوه إلا . . . إلا (بعد خراب البصرة) . . .

ما هو هذا العنصر الكيميائي العجيب الذي يحول كاتب جرائد في طئه وعاميته
وفساد ذوقه وسقم فهمه وضغط اطلاعه وثبات ناحيته في النظم والنثر — الى
مدرس للآداب العربية العالية في حكومة العراق ؟ أما إنه إن لم يكن عند هذه
الحكومة حجر الفلاحة لتجمل مثل العقاد مدرسا للآداب العربية بقوة الرجم
الكيميائي — إن لم يكن عندها حجر السحر هذا فقد وافته الماتة تخرب البناء الذي
تريد أن تقيمه بطلطتها في حجر الزاوية

(مفتاح نفسه) كلمة وضعها العقاد عنوانا لمقال نشره في المصور الصادر لذكرى
المغفور له سعد باشا لان العقاد لا يزال يفتق من قهود أكاذيبه على سعد فهي تد
ناحية من إقلاسه الى زمن طويل على ما تظن . جعل عنوان المقالة هكذا : الزعيم
الفقيد مفتاح نفسه (١) . فأولا مامعنى (الفقيد) وقد مضت سنتان كاملتان على
موت سعد ؟ وثانيا مامعنى (مفتاح نفسه) على قواعد التركيب العربي ؟

لا وجه للأول الا الركاكة والحشو وطريقة الجرائد . ولا معنى للثانية الا
الصوصية المتمكنة من نفس العقاد والغاية على طبعه ، فيعجز حتى عن كتابة عنوان
فيلجأ الى مرفة هذه الاستعارة الانجليزية ونصها عندهم The key of his soul يريدون
أنك تفتح أغلاق الرجل من جهات نبوغه بدرسه من جهات اعماله وأخلاقه فكان

صواب الترجمة — ان كان لابد من السركة حتى في عنوان ١١١١ — الزعيم نفسه مفتاح نفسه ، أو هو نفسه مفتاح نفسه . لابد أن يتقدم العبارة الانجليزية تؤكد أو يان لتستقيم عربية المعنى . فقل الآن في كاتب يشرق حتى العنوان ويعجز فيه أيضاً

قلنا مراراً ان هذا المخلوق المتشاعر سقيم الفهم في العربية وهذه هي علة تعلقه بكلمة الجديد وزعمه انه مجدد كما هي علة أمثاله من الأدباء الملتففين في عريشهم وأوريتهم على السواء . وهي أيضاً السبب في تجنب العقاد أن يفسر شيئاً من الأدب العربي كما هي السبب في انحطاط شعره وكتابته . وقد رأينا له في مجلة الجديد (١) كلمة من تخطيطاته عن ابن الرومي : « كاد يفسر . . . » فيها أياً هذا الشاعر فخط خط المياء لا العشواء قال ستره الله بلسكاته :

هل ترى هذا القائن الذي تعلم السباحة ليغوص لا يسبح ؟ أو ترى هذا الخائف المراقب الذي يمر بالماء في الكوز من الجانب ؟ هو ابن الرومي حيث يقول عن نفسه : (أي في البحر)

وكيف ولو ألقيت فيه وصخرة لو ألقيت منه القصر أول راسب
ولم أنعم قط من ذي سباحة سوى الغوص والمضغوف غير مغالب
فأبسر إنسفاقي من الماء اتى أمر به في الكوز من الجانب
انظر ايها القاري . ابن الرومي يقول : لم أنعم قط من ذي سباحة سوى الغوص
فيكون معنى هذا أنه تعلم السباحة ، (وتعلما) ، يغوص لا يسبح ، ؟ ان المعنى الذي يقصد اليه الشاعر هو هذا . أرى ذا السباحة يسبح ويغوص ولما كان الغوص أبسر العالين لانه لا يحتاج لتعلم الخبط في الماء وشقه والنجاة منه ، فأنا قد تعلت هذا ووجدته دون السباحة فلا ألقى مع صخرة في الماء حتى أسبقها الى قعر البحر .

هذا هو المعنى الشعري فأما ان كان تعلم السباحة ، ولكنه لم يتقنها فكانما تعلمها ليغوص لا يسبح ، فقد فسد بهذا الكلام الحس الشعري الدقيق البديع ، وأصبح المعنى في سخافته وركاكته يشبه شعر العقاد لاشعر ابن الرومي

وقال ستر الله عليه . وهل ترى ذلك المفهوم الذي يسره الى الطعام حتى في الأحلام

و يأسف على أن ينادعته وهو في المنام ؟ هو ابن الرومي بعينه وهو القائل :

ولقد منعت من المرافق كلها حتى منعت مرافق الأحلام
من ذلك أني ما أراي طامعا في النوم أو متعرضا لطعام
الا رأيت من الشقاء كائنني أتى وأكبح دونه بلجام

نأمل (قوى قوى) في تفسير المغفل ثم في شعر ابن الرومي وقل لي هل يصف
ابن الرومي شراسته ونهمه وأسفه ، أم هو يبلغ بهذا الأسلوب البديع في ضعة
فقره وأنه لهذا الفقر محروم حتى عما هو غني طبيعي للفقراء لأن الفقير متى تعلقت
نفسه بشهوة لا يحدها جلالة هذه الشهوة في أحلامه من عمل نفسه وكان لا بد أن
يمكنه وأن يناهها ، وذلك قانون طبيعي كما قرره العلم أخيراً في أسباب الأحلام
وتأويلها بالشهوات المعتمة أو المنقمة . ويعبرون عنها (بالمكبوتة) وهو خطأ وتسمح
فإن الرومي يصف شفاء جده وصفا دقيقا لا يحس به غبي مثل العقاد وفضلا
عن أن سياق الشعر لا يترك المعنى الذي فهمه هذا الغبي فإن هذا المعنى لن يتأتى الا
إذا ثبت أن ابن الرومي كان طفيليا ، طفيليا بكل الأوصاف الماثورة عن هذه الطائفة
وهذا لم يقل به أحد الا طفيل الأدب العقاد ومن العجيب أن هذه الآيات بقية
تكاد تنطق بأن ابن الرومي لا يريد شراقة ولا طعاما ولكنه يقرر ابتلاءه بنار الجذ
وأن ما يناه الناس بأهون سبيل وأيسر حركة من حررات العاطفة يحرمه هو ويتلى
فيه مع ذلك ، بالغرم والأغرام ، والعقاد مع هذا لا يفهم غرض الشاعر ، ألا يرى
القراء أن هذه وحدها كافية في الدلالة على بلادته وسقم فهمه كأن مادة نحه في وعاء
جمجمته قد كسب عليها صيدى القدرة . . . لا يفهم من الظاهر

وقال غطاء الله . . . أما سخره من غيره فله في أفانينه الكثيرة ومعانيه الغريبة ما
يقوم بدويان كامل . وبراعته فيه طبقة لا تعلوها طبقة في نوعها ويندر أن يدانيها
قول الساحرين في المشرق والمغرب فله في أحذب كان يضايقه ويترصد له (كذا)
أمام داره ليتطير منه :

فصرت أخادعه وطال قذاله فكأنه متربص أن يصفعا

وكأنما خضعت قفاه مرة وأحس ثانية لها فتجمعا

تعالوا أيها القراء (وهانوا معكم رجالا من العراق . . .) لنضحك من هذا

العامي المتشاعر الذي جعل ابن الرومي عاميا مثله ينجح الى لغة ضعيفة في تأنيث
(القفا) ويقول عن الأعم الشاعر . ولو كان هذا الشعر على هذه الرواية لكان
ضعيفا إذ قوله « صفت قفا مرة » يوهم أن هذه (المرة) كانت في زمن من قبل
يفسد الوصف ويضعف التركيب . ويجب حينئذ أن تكون العبارة : وكانها ضعفت
قفا صفة وأحسن ثانية لها الخ

وقوله « فكأنه متربص أن يصفها » من العامة التي لا ينقلها إلا عامي مثل العقاد
لأن التربص ياعقاد الجرائد . . لا يكون إلا في الانتظار الطويل الذي لا بد فيه من
مكث وتلك وهذه الكلمة يفسد الوصف ويرجع هراء . فإن من ينتظر أن يصف
غدا أو بعد ساعة لا يكون تلك حالة ولا يتجمع

نم . وطال قذاله . نالته الأثافي . فإن القذال جماع مؤخر الرأس مما تحت قصاص
الشعر أي القفا . فهل الأحذب مطويل القفا ؟ وهل إذا قصرت الأخادع وهي كناية
عن قصر الرقة يطول القفا ؟ أم ذلك الأحذب قد استعار قفا العقاد . . فانخفضت
رقبته ومع ذلك طال قذاله معجزة لجبار الذهن (١) . . ما هذه البلادة في هذا
الرجل ؟ خلصنا يا حكومة العراق من حارم على الأدب المصري ونظيره ولو مدرسا
لتلاميذ الشهادة الابتدائية التي لا يحمل غيرها وغير شهادة الجميع له بالخصوصية الأدبية
العليا III ثم اليان بعد هذا كله ليس لابن الرومي بل هما مر ويا للامير نجير الدين بن
تميم وتحرير الرواية هكذا :

قصرت اخادعه (وغاب) قذاله فكأنه (مترقب) أن يصفها

(وكأنه) (قد ذاق أول صفة) وأحسن ثانية لها فتجمعا

هذه هي صفة الأحذب وهكذا يكون الشعر لذلك التخليط العلى الثقيل المتناقص

الذي لا نعجب أن لا يتب له (أديب قاصو) مثل عقاد الجرائد هذا .

١ - يصف الشاعر هذا الأعجب في صورة العجسية برجل مطلع على قفا صفة وأحسن بيد صاحبه
ترفع تنوي بالصفة الثانية على قفا فتجمع أي وقع سفيه مني التمسك برأيه فتضيق الدالة فتقع الصفة
على الظير دون القفا فالتا تجمع ليحذف قذاله فكيف يقال في هذه الحالة (طال قذاله) ولكن العقاد
رجل بليد في الأدب العربية وإبراهه البهائم على هذا الشكل دليل قاطع في أنه ضعيف الفهم والتمييز وأنه
لا يصلح لشيء في الأدب العربي لأنه لا هو مطلع ولا هو فاهم ولا هو يحقق وليس هو أكثر من أن
بالقل بسمة رقة على أولومويل أو على عربة كازي أو على حمار أو على ظهره هو . . .

أرأيت يا عقاد أنك لست هناك وأنتك تدعى الأدب العربي سفاها وأنتك في
عينك غي غي غي لا تساوى شيئا الا عند غي غي مثلك

والآن قول انا تلقينا كتابا يتحدثانا صاحبه ١١١١١ أن نقد قصيدة للعقاد سماها
(الحرة الالهية) . ويستدل صاحب الكتاب على فضل العقاد بشهادة (مين ومين
ومين) الخ الخ

نحن دائما لا نضرب الا ضربات قاضية ولا نعرف هذا النقد الخس الذي نراه
في الجرائد مما ليس فيه الا الثثرة ولا تقدير له الا بقولهم أربعة أعمدة أو خمسة
أعمدة ومن أجل ذلك سررنا بهذا الكتاب الذي تلقيناه وسأفنى بقصيدة العقاد
هذه بيتا بيتا ليرى معنى رأسه وبكل أعين الناس انه (فالصو) من اوله الى آخره وأنه
لا يزيد عندنا عن حبة من القمح رأيت حجر الطاحون ساكتا هادئا متواضعا فجاءت
تظهر صفوها وطيشها وقبهمه بالبرودة والجود وتقول له انها من قبح استراليا

ثم . . . ثم دار الحجر ARCHIVE
في صفحة ٧٤ من بقعة الصباح ١١١١ الخ الالهية . على طريقة ابن الفارض ،
ماهي طريقة ابن الفارض وهل يعرفها العقاد على حقيقتها أم هو يقلب في هذا كما هو
شأنه دائما ؟ الخ في لغة السادة الصوفية ، شراب المحبة الالهية الناشئة عن شهود آثار
الاسماء الجالية للحضرة العلية فانها توجب السكر والغية بالكلية عن جميع الاعيان الكونية ،
افكذلك عاين العقاد وشرب وانجذب ا أم نظم قصيدته الملتفة في خمرة بار من
البارات التي يتسكع فيها ، ويخرج منها بمخازيها ؟ ستري

ثم أن ابن الفارض ليس له في الخمر غير قصيدة واحدة هي الميمية المشهورة ثم
آيات افصح بها نائيه الكبرى . وما عداها فلم يذكرها الا في ثلاثة أو أربعة آيات
كل بيت في قصيدة وهذه آيات من الميمية يتطهر بها القارى . قبل أن نخوض في رجس
العقاد ويتشقق أنفاس السماء قبل أن ياخذته غبار الأرض

قال سلطان العاشقين قدس الله سره

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا به من قبل أن يخلق الكرم

ومن بين احشاء الدنان تصاعدت ولم يبق منها في الحقيقة إلا اسم

وإن خطرت يوماً على خاطر امرئ . أقامت به الأفراح وارتحل الهم
ولو نظر الندمان ختم إنائها . لأسكرهم من دونها ذلك الختم
ولو تضحوا منها ترى قبر ميت . لعادت إليه الروح وانتعش الجسم
ولو طرحوا في فيه حائط كرمها . عيلاً وقد أشفى لفارقه السقم
ولو خضبت من كاسها كف لاس . لما ضل في ليل وفي يده النجم
يقولون لي صفها فانت بوصفها . خير ، أجل عندي بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ، ولطف ولا هوا . ونور ولا نار ، وروح ولا جسم
ويجب أن يرجع القارئ إلى شرح الشيخ النابلسي لديوان ابن الفارض ليرى كيف
يفسرون معاني الخمر وأوصافها ، بما أدار الله تعالى على ألبابهم من المعرفة أو من الشوق
والحبة ، وهو أمر بين وبين العقاد وأمثلة ما بين الإنسان والفرد
وقال : صاحب مراحله . . .

(عقود الدوالي أنت والخمر أشباه . فله ما أسنى حلاك وأحلاه)
لأن أراد أن تأثير العقائد يشبه تأثير الخمر على الترحم فهو من قول ابن الفارض :
ولو طرحوا في فيه حائط كرمها ، الخ وقد ورد في هذا المعنى شعر كثير ، وإن أراد
أن العقائد هي والخمر أشباه في الشكل أو المعنى فليس كذلك ، والحقيقة أنه سرق
هذا المعنى من (حديث القمر) ولم يحسن سبكاً وهو هناك بهذا النص : يتخيلها
(أي الآمال) ابتسامات من السعادة كما يرى المدمن في عقائد الكرم سحابة من
الخمر ، فانظر ابن هذا الرصف من ذاك وابن الدقة من الغموض ، وإن الذباب يقع
على الزهر كما يقع النحل ليجنى العسل ، وإنه ليطن في الروض كما تغرد الطيور لترقص
قلوبها الصغيرة . ثم يطير عن الزهرة ذباباً كما وقع ، ويسكت ذباباً كما طن ، وكيفما نظرت
إليه لاتراه إلا ذباباً ، ولكنه من الطير ولكنهم من الشعراء . . . (١)
وهذا هو وصف العقاد بميتة في كل سرقاته . وقد طبع حديث القمر في سنة
١٩١٢ قبل أن تظهر (نقطة الصباح) .

وقول العقاد (ما أسنى حلاك وأحلاه) خطأ لأن الحلي جمع حلية فيجب أن يعود

١- إشارة إلى قول العقاد : مراحله أفخر أثوابها ، وقد مر في العقود الثالث وقد كان العرب يلقبون
شعراءهم بتلكات فاتحة فليكن لقب العقاد منذ الآن : صاحب مراحله . . .

عليها الضمير مؤثرا فيقول واحلاها ، وانظر ان معنى الحلاوة من معنى سنا الحلبة الا ان يكون من قول نساء العامة لكل جميل (يا حلاوة)

(لآله قد نطت بأحاط عسجد فصدر الدوالي مشرق التحريات)

انظر كيف يصنع الشاعر الحقيقي في مثل هذا ، قال ابن الرومي في وصف العنب

لو أنه - يبقى على الدهور قرط آذان الحسان الحور

وقال في البلح : فتشقت الاكف فقلت فيها لآله في السلوك منظمات

فهو لا يجعلها لآله حتى يوطيء لها نوحمة وقوله صدر الدوالي مشرق التحر كلام

غير مستقيم لان العنايد على صدر الدالية ، فمن أين لصدرها تحر ؟ (١)

كان جوب الكرم بين سلوكها كؤوس من البلور قد صاغها الله

سرقه من ابن الرومي في وصف العنب الرازقي (الأبيض الطويل)

ورازق مخطف الخصور كأنه مخازن البلور

يريد ابن الرومي الشبه في خزن الضوء وهو معنى جميل دقيق فجعلها العقاد (كؤوساً)

وثرثر بقوله صاغها الله . ثم الجوب لا تكون (بين) سلوك العنايد بل السلوك هي

التي تكون بين الجوب لأنها تحملها أي ليست من معامل الزجاج

(كأنني أرى بالعين ضمن قشوره سلافة جلم سوف تجنى حياء)

هذا تكرار للبيت الأول ثم قوله (أرى بالعين) كلام سخي فبماذا يرى ؟

وضمن قشوره كلمة عامية حقيقة بان تكون لغة كناس من كناس الطرق . . . وسوف

(١) الثابت عندنا ان العقاد بليد سقيم الفهم وخاصة في فهم الشعر العربي وهذا يدل

على انه غير ناضج لا يانا ولا شاعرية ، ونظن انه سرق ما جعله للكرم نحر من قول ابن الرومي

بنت كرم تديرها ذات كرم فوق البحر مشر الاعتاب

حصرم من زبرجد بين بضع من يواقيت جرها غير خاني

وظن لسوء فهمه ان الشاعر يصف الكرم (شجر العنب) والحقيقة ان ابن الرومي

يريد بقوله (ذات كرم) النخ ان النخ تديرها امرأة غنجة كثيرة الحللى كأنها في حلاها

شجرة كرم بعنايدها فالحصرم فيها زبرجد والناضج يواقيت ، وفي ديوان ابن الرومي

(بين نبع) وهو تحريف وقع فيه النساخ والطابع ايضا

تجني حياء ، الطامة الكبرى ، فكيف يرى بالعين سلاقة ، ثم يقول سوف تجني ،
وسوف للاجل البعيد . وهل يقال جنيت اخر وحياء حشو لا موضع له اثبت فكانه
قال أرى بالعين سلاقة كائن سوف تجني سلاقة هذه الكائن . وانظر اى خلط هذا ؟

(ويسمى اليها الشاربون بمجلس يحف به عشب أثيث وأمواء)
اليها يعنى الى اخر اتي براها بالعين سوف تجني . . . قال رجل في منام اذن . وليس
يرى بالعين لانه مع ان هذا اخر ، سوف تجني ، فقد رأى الشاربين يسمون اليها . . .
وصفة المجلس في شعر هذا الدعي الثقيل من أبرد ما جاء به شاعر عامي ساقط -
هل يهتم بالعشب الأثيث والأمواء ، ، الاحجار يحلم بالبرسيم ونحوه ، لو من فيه روح
حمار ؟

(كليتنا والدمر وستان غافل وقد أيقظ العود الصفاء قلباه)
اذا كان الدمر وستان فهو غافل حتما ولا يبقى لهذه اللفظة معنى . وستان وأيقظ .
هذا هو بديع العقاد كما يخف ما يحى به مبتدى . . . وأيقظ العود الصفاء ، هذه كلمة
من الشعر الذى كان قبل سبعين سنة حين كانت الفاظ الشعر واستعاراته مثل أيقظ
الصفاء ودعا الهاء . ولى الأس الخ ، وما دمننا في البديع فهل أيقظ بنسبها لى ؟ أم هذه
تناسب دها ؟ هذه هي صناعة العقاد ليس فيها الا كلام عامي منظوم . ومع ذلك لا
يخجل ان يجعلها (اخر الالية) وتبلغه الوقاحة ان يقول انها على طريقه ابن الفارض .
أما وقد رأيت طرب مجلس العقاد . انه كله في أيقظ العود الصفاء فانظر كيف
يصنع الشاعر في الابتكار لمعنى الطرب في مثل هذا المجلس واقرأ قول مسلم بن الوليد

ملكنا سبلا للصبي اجنية ضمنا لها ان نعصى اللوم والزجرا
هركب خفاف من زجاج كائنا ندى عذارى لم تخف من يد كسرا
علينا من التوقير والحلم عارض اذا نحن شتتا أمطر العزف والزعرا

ومسلم سجع له ابو نواس هذا المعنى في قوله

لا أرسل الراح إلا أن يكون لها حاد يمتثل الأشعار غريده

لجاء ابن الوليد بالرحل والركب والطريق وسماها على أبداع ما تنكر القرينة
وهكذا يكون الشاعر في توليده وابتكاره ان كان شاعرا . فأما ان كان عامياً ملقاً

لصاً كالعقاد فهو يصنع كما رأيت العقاد يصنع سلخاً ومسخاً كأنه (عطا شحي
وابور) يقدم خرقة لامرأة حناء تمسح بها عرق الحجل من وقاحته
وسوء أدبه

لا ينبغي ان يحى الشاعر بمعنى متداول
او مبتذل الا اذا وضع له تعليلاً او
زاد فيه زيادة او جعل له سياقاً ومعرضاً
او نحو ذلك ليكون هو في معنى غيره، فكأنه
معناه هو . وأى شئ في ، أيقظ العود الصفاء
فلياء ، غير استعارة التوم للصفاء والايقظ
للعود كأن العود خادم في (لو كائدة توم) . . .



انظر يا عقاد الجرائد كيف صنع جميل حين أراد أن يأتي بشيء جديد من معاني الشعر
في طرب العود ونحوه وتأثير هذه الآلات في مجلس الراح وهو يذكر تدميره عليها بعد
أن طرب وشرب قال

فلما مات من طرب وسكر رددت حياته بالمسكات

فقام يجر خطبة الخمارا وكان قريباً بهذا بالمات

جعل العود (ينطق بأحسن من وقع القطر في البلد القفر) وجعل فيه حياة من
الموت الذي في الخرف فكان في مجلسه ما يحيى ويميت هكذا قام مع ابها الحمار الذي لا يلف
في مجلس الطرب الا على عشب أثبت وأمواء ، دون الریحان وأنواع الزهر واصناف
الطيب وبجالي الروض ومعارضة المختلفة الخ الخ

(يدور بها الساق علينا كأنها مباسم ثمر والحباب ثاياء)

ان اراد بالمباسم جمع مبسم مصدرا أى الابتسام فلا معنى للتشبيه لان الحر ذات
الحباب لا تكون يضاء ، فان اراد جمع مبسم أى ممكن الابتسام يريد به الشفتين
الخراوين فكم مبسما للتغريبانرى ؛ ؛ لعلها مباسم ونجدة من أسوان لها شفتان غليظتان
كشفتى البعير ويكون تقدير العقاد ان هاتين الشفتين لو فسحتا شفاها رقيقة لكانتا
عشرين أو ثلاثين ، ومن ثم يكون لهذا التغر الواحد (مباسم) على هذا التأويل . . .
وهذا البيت سرقة العقاد من شوقي في قصيدته المشهورة (حلف كأنها الحبيب) من قوله

أو فم الحبيب جلا عن جهاته الشب

ومع ان طبعي أنا لا يسع مثل هذه التشبيهات وبرأها كلها فساداً في الفروق ،
هاني أرى في بيت شوقي دقة غفل عنها العقاد لانه جامل بالعربية ليست له قرينة
بيانية البتة . فليس في كتابته ولا شعره إلا الخبط لبط . . . شوقي يقيد الفم بأنه فم
الحبيب ، والعقاد أراد مطلقاً ثغر يعني ولو ثغر شوهاً فوهاً . . . فم شوقي
بذكر فم الحبيب والتأيا والريق وهذا كله حلو حلو جميل جميل ويضيف الى
ذلك كلمة (جلا) وهي وحدها شمرق ذكرها مع تأيا الحبيب . والعقاد
غفل مغفل ليس في شعره الا ثغر نكرة - بدليل التووين - وبشابه كيفما كانت ولو
كانت مصابة بالقلع و . . . قبحه الله من شاعر سخيف ، كادت والله نفسي تثب
الى حلقى . . . وما معنى القوم من شعر هذا العقاد إلا اني تذكرت الآن هذين
البيتين في ثغر الحبيب ودره وعقيقه ولا أدري لمن هما ولكنهما من شعر المتأخرين
الجامدين في رأي المجددين المغفلين

يا در ثغر الحبيب من لظلمك ومن يقيم العقيق قد خضك

أصبح من قد رآك ميتاً عيل شراً فكيف من لثمك ؟

تحتاج يا عقاد أن تخلق مرة أخرى من أب آخر . . . لتستطيع أن تقول مثل هذا .

ونعود الى تشبيه الحجاب بتايا (الحبيب) الحبيب خاصة - فأصله أنهم شبهوا الحجاب
بالؤلؤ وهذا جيد مستقيم على طريقة الوصف ومنه قول النواس : حصياء در على
أرض من الذهب ، وكثير غيره

ثم لما كانت أسنان الحبيب تشبه بالؤلؤ جعلوها كالأصل ونقلوا التشبيه اليها قولها

انساعا في فنون البيان ومن ذلك قول البحترى يصف الحر :

وفي القهوة أشكال من الساقى والوان

حجاب مثل ما يضحك عنه وهو جذلان

وسكر مثل ما أسكر بطرف منهوسان

ثم تنبهوا من ذلك الى مراعاة النظير والمقابلة فجمعوا في التشبيه كقول ابن وكيعة :

حملت كفه الى شقيه كاسه والظلام مرخى الأزار

فالتقى لؤلؤ الحجاب وثغر وعقيقته من فم وعقاد

وإدع ابن النيه وجاء بالمعنى سائغا عذبا في قوله :

فأنهض إلى ذوب يا قوت لها حبيب تتوب عن ثغر من تهوى جواهره
ومن هنا أخذ شوقي في جمع في التشبيه كما رأيت ، وعلى شوقي تطفل العقاد ،
والفنن في وصف الحب كثير ولكننا أردنا بما ذكرناه تاريخ المعنى الذي (هيه)
هذا العقاد

(جرت في صفاء الدمع وهي دواء فن ذاقها لم تجر بالدمع عينا)
سرقه من قول ابن المعتز مع غفلة من أقبح غفلات العقاد . يقول ابن المعتز
ورواه الثعالبي لأبي نواس :

وليس لهم إلا شرب صافية كانتا دمعاً من عين مهجور
فقد الدمع بأنه من عين مهجور ، وصاحب مر حاضه ، أطلت فجعلها ككل دمع
وإن كان دمع مصاب بأثر مد الصديدي . . . قبح الله هذا الاحق لا يزال شعره
كالملح الانجليزي أو زيت الخروع ، ثم انظر واحجب من ضياوة العقاد فقد فهم
من بيت ابن المعتز أنه يشبه الخمر في صفاتها بالدمع فسرق على هذا الفهم وهذا تشبيه
صيان لا تشبه مثل ابن المعتز وإنما أراد هذا أنها صافية حمراء كدمعة المهجور حين
يبكى دماً لا حين يبكي دمعاً . أفهمت يا عقاد . ألا تفر أنك في حاجة إلى أن تكون
تليذاً لا ديب ، ثم بعد ذلك عسى أن تكون أديباً في يوم ما . . ؟

وتأمل ما يشعر بك قول ابن المعتز (كانتا دمعاً من عين مهجور) وما يشير في فصلك من رقة
العاطفة وتحرزتها واحتياجها الخ وهذا ظه خلاصته بيت العقاد فجاء قسراً لا لب فيه
وزعم أنها دواء الدمع مضحك لأن ابن المعتز جعلها دواء لهم وليس كل هم يحىء
بالدمع إلا أن كان هم امرأة تبكي لكل شيء وليس كذلك الرجل . وما دامت الخمر
دواء الدمع ، فينبغي أن يكون من أسماها عند المجددين (ششم وقطرة)
ومحلول يوريك وسلياني . ألا لعن الله هذا التجديد وأهله إن كانوا من هذا الطراز
انظر كيف يكون الشعر في وصف الخمر على أنها دواء الدمع في قول السري أو
السلامي لا أدري :

بتنا نكفكف بالكلمات أدمعنا كانتا في حجور الروض أيتام

هكذا والافاسكت ويحك

(تير قولاً ان يسيل رحيقها تلت لظي اذكي التسم شظاياها)
يريد قولاً ان سال رحيقها فاستعمل (يسيل) بصفة المضارع خطأ لانه لا يفهم
من هذا التركيب الا انه لا يقول إنها لظي خشية أن يسيل رحيقها . والمعنى مسروق
من قول مسلم بن الوليد

وكانها والماء يطلب حلماً طب تلاحظه الصبا في مقبس

الصبا نسيم الصبا فقال العقاد لولا أنها ماء لقلت أنها طب ولم يحسن أن يقول
مثل هذه العبارة البديعة (تلاحظه الصبا) فقال أذكي التسم شظاياها ... الاذكاء
معناه الزيادة نقول أذكي النار أي زدتها وقوداً فكيف يكون الاذكاء لشظايا النار
أي الشعل المتطايرة منها دون النار نفسها ؟ هذا فهم مقلوب والظاهر أن مغفلنا الكبير
فهم من معنى أذكي ضرب و فرق ونحوهما

تأمل بيت مسلم وانظر الدقة العجيبة في جعله الماء يطلب حلماً حين يمتزج بها
وهي في نفسها طب تلاحظ مع نسيم الصبا ثم قابل هذه الصياغة بصياغة مغفلنا
(يكاد اذا طاف الفلام بحامها يرفرف حولها الفراش ويغشاها)

جعل مجلس الراح في غيط قطن عند (العشب الاثيث) حيث يوجد الفراش
المنسلخ من دودة القطن . وهذا البيت يذكر بالذباب وتهافته على كأس الشراب
لان الفراش والذباب سواء غير أن الاول يتهافت على الضوء (١) والمعنى بعد مسلوخ
من قول مسلم :

(١) لا تنسى أن الفراش لا يتهافت على الضوء الا ليلاً وقصيدة العقاد ليس فيها
ما يدل على أن مجلسه كان بليل ولا بحرة فهذه إحدى غفلاته . ثم إن الشعراء قد
أثروا في تشبيه الراح بالنار حتى بالنار التي تشب ليسرى الضالون في الليل على ضوءها
فيتمسكوا بها الى القرى والضياقة والعمران . كما شبهوها بالمصابيح والذهب وشعرهم
كثير في هذه المعاني وكلهم كانوا يعلمون طبيعة الفراش ومع ذلك لم يذكر أحد منهم
هذا المعنى فيما وقفنا عليه لان لهم ذوقاً وبصراً وليس يغيب عنهم أن الكأس التي
يرفرف حولها الفراش ويغشاها هي أخت الكأس التي يقع فيها الذباب لان

كان نارا بها محرقة لها بها تارة وتغشاها
 شبهها بالنار المحرقة التي زادت وقودا فبرئت عنها المصطفى تارة ويدنو منها تارة
 فخطر للعقاد أنه لو كان الناس فراشا لكان المعنى أحسن فسخرهم فراشا .
 ولكن انظر كيف يقول الشاعر الحقيقي في مثل معنى العقاد حين يصنع الصنعة
 البارة التي لا تذكر النفس الا بالصورة العالية الشريفة فيقول في وجه ممدوحه
 ذو غرة كجبين الشمس لو برفت في صفحة الليل للحرباء لانتصبا (١)
 ويقول : صاحب مرحاضه . . .

(لها في يمين الشارين توهج اذا ما خبا قلب من الحزن اذ كاه)
 لماذا جعلها في اليمين خاصة مع أن أهلها يتناولون باليمين واليسار؟ ثم هذا المعنى
 كثير ولكن الشعر كل الشعر في تعليقه وكيفية وضعه وبيت العقاد من قول
 مسلم بن الوليد

تذهب الكف من نلها وتحسر العين ان تقصاها
 قال الكف ولم يقل (اليمين) ثم هي مادامت نارا أو شعلا محرقا فيكون أثر
 توهجها في الكف لافي القلب . ولكن لعل العقاد سرق قبا يسرق سلكا منه من
 يمين حاملها الى قلبه فانتقلت الحرارة عليه . . . ومسلم يزيد في بيته ان العين تحسر
 عن نقصها كما تحسر عن الشعاع في شمسه . وانظر كيف ينظر الشاعر في ذكر توهج
 الراح وتليها على يد الساق الجليل اذ يقول :

لا تترك القمح الملا آن في يده إني أخاف عليه من نلها
 وقول العقاد (إذا ما خبا قلب من الحزن اذ كاه) من أبرد الكلام وأسخفه

الفراش لا يرتد عن الضوء دون أن يخالطه ويقع فيه . وذكّر الفراش على الكأس في
 مجلس الشراب لا يكون الا من عامى سوفي بارد الطبع ساقط الحرمة . فأنت ترى أنه
 ان كان العقاد هو الذي جاء بهذا المعنى فكلام الشعراء جميعا دليل على فساد ذوقه
 وعامية طبعه وان كان سرقه بنصه فهذه أدهى وأمر لأنها لصوحية وفساد ذوق
 (١) الحرباء دائما يطلب الشمس ويتقلب معها وهو يطلب معاشه بالليل فإذا
 طلعت الشمس اشتغل بها

لأن أذناه معناه أضرمه وهيجته وما الحزن إلا تسعير القلب ونعوذ بالله . وقد
قال أبو قراس

إذا ما برد القلب فما تسخته النار

ويقول : صاحب مرصاضه . . .

(تلوح كماء المهل أما مذاقها فن سليل الخلد في طيب سقياه)

قال في الشرح ماء المهل شراب أهل جهنم . . . فنأمل هذا الفرق ونعوذ بالله
ثم نعوذ بالله .

وهذا المعقل قد نسي من أول بيت في قصيدته أنها : الخمر الإلهية ، وأنه يقول
على طريقة ابن الفارض : فذهب يسرق في كل بيت من لم يقولوا على هذه الطريقة
ولاحرفا واحدا كما رأيت . وهل الخمر الإلهية : تلوح كشراب أهل جهنم ؟ أخذك
الله (يا صاحب مرصاضه) وجعل المهل شرابك ، كما جعلت المرصاض ثيابك

وقوله (مذاقها) ثم قوله (في طيب سقياه) من الكلام الذي لا يلتزم لأن المذاق
في اللسان وحده فالصواب مذاقها في طيب طعمه ، وبين الطعم والسقيا من البعد ما بين
العقاد والشعر . هذا نصف القصيدة ، وكل ما مر بك في اثني عشر بيتا فقط من شعر
(صاحب مرصاضه) فكيف يرى الناس الآن قيمة (صاحب مرصاضه) ؟ ؟



أطلب من دار العصور للطبع والنشر

بشارع الخليج المصري : بالظاهر بمصر

الإشتركية

أقوم بحث في حقيقة الاشتراكية ومناقشة مبادئها

البائية والبهائية

طالع الاستاذ عمر عنایت افندی موضوع البائية في مجلته المصور الغراء وادمج فيه الكلام عن البهاية بدون أن يتحرى فيه الحقيقة ولا أن يسترشد بما كتبه السابقون من المؤرخين المتصفين بل اختط لنفسه خطة لم يسبقه اليها أحد فصور البهائية للقارىء بأنها خليط من الآثار الفلسفية والدينية والمهولية والشيخية والباطنية والمعتزلة على اختلاف نزعاتها ومراعيها وان برنامج البهاية في نظره عبارة عن اتويا (كلمة فرنكية عبر عنها للدلالة على أن تحقيق تلك المبادئ مستحيل وأصلها بمعنى الجزيرة الخيالية) وباليه اقتصر على ذلك بل ادجها اغاليط وحشاها افتراآت وأخذ بتخييط خيط عشواء فجعل يكرر في أقواله لفظ لا أدري ما أقول لك ولقطة أنى أجهل وما كان اغناء عن أن يكتب في موضوع لا يدري فيه ما يقوله ولم يطلع على معلومات موثوق بها .

ان كنت لا تدري ذلك مصيبة أو كنت تدري فالمصيبة أعظم

ولقد كان الأحرى به ان ينظر فيما كتبه من سبقه من العلماء والادباء والمؤرخين المتصفين أو أن يسأل عن ذلك من نفس البهايين المقيمين في كل مكان وباليه اقتصر على مرد الافتراآت العجيبة قبل شحن كتاباته بالسخرية والاستهزاء الذي هو سلاح العاجز عن البرهان فادعى أن كتاب لا قدس وطانة بين العربية والانجليزية مع ما هو مشهود له من الفصاحة والبلاغة التي لم يبلغ شأوها الا ولون ولن يبلغها الآخرون وما مثله في ذلك الا كمثل مشركى الاعراب حيث قالوا عن القرآن الكريم (ولو شئنا لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين) بعد ما شهد الكتاب لنفسه بنفسه بأنه لو اجتمعت الاتس والجن على أن يأتوا بمثله لن يقدروا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً والا عجب من ذلك قول حضرة الكاتب ان كتابات حضرة عبد البهاء قد نُجِلَّت في نظره بصور مضحكة مع انها باعتراف العظماء انفس ما كتب في الوجود من الغيب والشهود

أمور تضحك البسطاء منها ويكي من عواقبها الاليم

فان كانت الدعوة الى السلام العام وبذو التعصبات واتحاد الاديان تضحك فانه لا يضحك منها البلاء الذين يحلون بها ويحترمونها ويقدسونها وان عادة الضحك على

الرسائل الالهية والكتب السماوية وعلى المؤمنين لم تكن خاصة بهذا الزمان بل كانت موجودة في عصر كل ظهور جديد فقد كان المشركون من الاعراب يضحكون على المؤمنين قال تعالى (ان الذين أجروا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) فهذه عادتهم ودينتهم وأما كتابات حضرة عبد البهاء فكانت أنجوية العصر كما شهد بذلك عقلاء القوم فانظر ماذا كتبه الامير شبيب ارسلان في كتاب حاضر الاسلام وهو مطبوع في مصر قال عن حضرة عبد البهاء (كان آية من آيات الله بما جمع فيه من معاني النبالة ومنازع الأصالة والمناقب العديدة التي قل أن ينال منها أحد مثاله أو يبلغ فيها كماله - الى ان يقول - وأقواله فصل الخطاب وكتاباته الديباج الفخيم وفصوله الوثني المنعم يفيض بانه بجمامع الحكم ونيل عارضة ميل عارض منجم ويورد اللبيب لو أقام العمر بمجله يعني من زهر آدابه البارع ويرد من منهل حكته الطيبة المشارع - الى ان يقول - وبلغ من قوة الحجج واصالة الرأي وبعد النظر الغاية التي تفي دورها المني حتى لو قال الانسان انه كان أنجوية عصره ونادرة دهره لما كان مبالغاً ولو حكم بأنه من الافئدة الذين قلما يدهم الدهر الا في الحقب الطوال لكان قوله سابقاً - الى ان يقول - وكان احسن الله منقلب مستوفياً شروط الربابة ذاتها وقارق رسوم الجبال ومهاجرة يقف عندها الرهبان وحشمة لا ترى الا في الماوك - الى ان يقول - وكانت رسائله على كثرتها تتلى وتؤثر وتحفظ حفظ النخاس في الخزائن وتدخر - الى آخر ما ذكره من المدح والاعلاء الشديد

ونسرد ايضا لناقد ما ذكره الامير محمد علي باشا في رحلته الى بلاد امريكا (وكتبه في ذلك مطبوع في مصر) مما شاهدته بنفسه من تأثير خطابات حضرة عبد البهاء في امريكا قال في صحيفة ١٤٤ بعد مدح (اما خطاباته الكثيرة المؤثرة فانها أخذت دوراً عظيماً في امريكا وكانت اذ ذاك حديث الجرائد ينشرونها ويعلقون عليها آراء علماء الدينين وبالمجمل فقد توصل باقتداره الى بلوغ الدرجة التي يحسده عليها الحاسنون فقد مكثت معه زمناً احادته ومحادثني فيطربني بلذيت كلامه ثم انصرف من عنده وأنا احفظ له في قلبي المودة والاحترام)

ويكفي هذا الشاهدان وما نطقاه من الحق والصواب وانهما من الامراء اوليسا

من السوقة ولعل الناقد لا يعود بعد أن يسمع عنهما ما تقدم فبدعى بأن مبادئ
البهائية هي آراء رجل فهم الاظمة الاجتماعية فهما سقيما

فكم من غائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

فمن يستمع التغيث البهائية وألحانها الخطيرة وهو ساه عن ملاحظتها وصباحتها فلا
يلومن الا نفسه حيث لم يقدر أن يبلغ شأوها ولم ينل سعيها ومهما أراد أن ينقص من
قدرها لن يقدر أبداً أن يطفئ ذلك النور الالهي الذي أشرق به الارض والسماء
فلن نبلى على كثرة الرد وانها لأرفع منزلة من الشمس واعز مما خلق للحين في السموات
والارضين

ومن سمع الغناء بغير قلب ولم يطرب فلا يلم المعنى

هذا كتاب الله العزيز مع ما فيه من الهداية كان في نظر المنكرين عبارة عن أساطير
الاولين (يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به الا الفاسقين)

ولو شئنا أن نعدد أغلاط الناقد كالفول بأن الشيخ الاحبائي كان من تلاميذ الباب
وغيرها لما خلت عنها عبارة أو جملة وأما الفاظ السباب والافتراءات فلنضرب صفحا
عنها ونعز عليها من الكرام فان اقلام العقلاء تنوح عند ذكر هذه السخافات وتأوه من
ترديدها أو ذكرها فكم نعت الناس قديماً وسلم وأنيابهم يحلل ما ينعت به الناقد
حضرنا بهاء الله والباب قال تعال عن لسان المنكرين (اناركو انحن آلتنا لشاعر
مجنون) ومن هذه الآية يعلم أن المنكرين كانوا يصفون سيد الوجود بصفات الجنون
(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون)
أما كلامه عن عدد البهائيين في العالم بنوع من الاستهزاء أو التهمك دليل على التغيظ
بما هو مشاع عن ازدياد عددهم ازديادا مطردا فان الذين يبحثون عن الكثرة ليسوا
من البهائيين بل هم الاغيار الذين يدنون مشاهداتهم وقد كتب الامير شكيب باشا شاهد
من أن عدد البهائيين في مدينة استوتجارد في المانيا ينوف عن أربعة آلاف حسبما عليه
من قنصل الترويج ومع ذلك فالكثرة والقلة ليست مقياسا للحقية ولا داعيا للتعير

تعتبرنا أنا قليل عديداً فقلت لها إن الكرام قليل

أما قوله بأن البهائيين يستدلون في كتبهم رسائلهم بأراء اعظم الكتاب يروون أقوالا

عن القضاة والوزراء والملوك والأمراء عما لا يمكن تحقيقها ولا معرفة مبلغه من الصحة فراجع إلى عدم الرغبة في الفحص عن الأمور لأن الاستدلال بما في الكتب المطبوعة سهل تحقيقه بالرجوع إلى هذه الكتب وتطبيقها فلا يحتاج إلى دليل بل هو امر في غاية الوضوح

وليس يصح في الأذهان شيء هـ إذا احتاج النهار إلى دليل

ومع ذلك فليس فخر البهائية بمن تبعها من العظماء والقضاة والأمراء والفلاسفة أو الملوك بل إن فخر هؤلاء باتباعهم للطريقة المثلى وتمسكهم بالعروة الوثقى وهم الذين يدونون بأنفسهم مقالات المدح والاعتراف في التعاليم البهائية في الكتب والمجلات فهذه ملكة رومانيا تكتب المقالات العديدة في الجرائد السيارة تحت قوما على التحسك بالبهائية وهي تفخر بها وقد كتبت في سنة ١٩٢٦ ثلاث مقالات تحت امضاءها نشرت الاولى في جريدة تورنتو ايلي ستار واشنجنطن هيرالد والثانية في تورنتو ستار والثالثة في نشرة المساء فيلادلفيا قالت في الاولى هـ وعند ما فطحت الكتاب (عبد البهاء) وجدت فيه بيانات عبد البهاء رسول المحبة والوئام وتعاليم والده الداعي إلى السلام وحسن التفاهم بين الانام وبالاختصار عن دين يرمى إلى توحيد كل العقائد والاديان إلى أن تقول — (بالجمال تلك الرسالة التي جاء بها بهاء الله وابنه عبد البهاء اللذان لم يثابها عنوة واقتداراً لعلهما ان يبدوا الحقيقة السرمدية الكامنة في تعاليمهما لا بد وان تنصل في النفوس وتتصكن في الافئدة والقلوب وتتشر في كل الآفاق — إلى أن تقول — إني أوصيكم جميعاً اذا طرق سمعكم اسم بهاء الله أو عبد البهاء الا تنفذوا تعاليمهما وراء ظهوركم بل ابحثوا كتبهما واجعلوا كتابتهما الحاملة للسلام والفاضة بالمحبة والمفعمة بالعظات تنفذ إلى أعماق قلوبكم كما نفذت إلى أعماق قلبي واستقرت في صميم قواذي) وفي رسالتها الثالثة اعترفت وأقرت صراحة برسالة جميع الأنبياء بما فيهم حضرة الرسول الكريم قالت (لهذا ظهر الأنبياء ومن أجل هذا قام المسيح ومحمد وبهاء الله) فعمت الرسالة رسالة حضرة بهاء الله فهي التي تقرب وجهة النظر بين الشرق والغرب حتى إن الملوك ابتدأوا يعترفون انها الترياق الشافي للأمراض المستعصية على العالم وأن اتحاد من على الأرض منوط باتباع أو امراءها وملكها رومانيا الفضل بانها أول من آمن منهم واعترفت بعظمة الامر وسلطانه

أما قول الناقد بأن آراء البهائية آخذة كل يوم في التطور فراجع أيضا إلى عدم

الاطلاع الكافي فان المبادئ البهائية باجمعها تأسست بمعرفة حضرة بهاء الله وهو في السجن
 الأعظم وقام على ترويجها حضرة عبد البهاء وعلى حفظها وصيانتها حضرة ولي أمر الله
 وأما ما ذكره من مشكلات حل الأوقاف وطرد الصهيونيين إلى آخر ما أورده
 فهذه هي أمانيه ولا دخل للبهاية التي جلت خطرا أن تهتم بمثلها (وما من نبي
 الا اذا تمهي القى الشيطان في امته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته) وفي
 الخاتم يكفي أن توجه نظر حضرة الكاتب إلى أن كل من يقرأ عبارته يشم منها رائحة
 العصب الذميم خصوصا ما تحتوي عليه من الفاظ الشتم والاستهزاء وكثرة الالفة آت والسلام
 وارجو من عقلاء الملة أن لا يعجلوا في الحكم على هذا الامر العظيم الذي اهتز له
 العالم شرقا وغربا وان لا يعرضوا عن هذا النبا الكريم قال تعالى (قل هو يا عظيم انتم
 عنه معرضون) وسأعلمون ان هذا الامر سيطلق صيته عن قريب الخافدين
 وبواسطته يتم اتحاد الشرق والغرب واتفاق الاديان والاجناس وزوال الحروب
 المهلكة والتعصبات المدمرة وبأني يوم السلام العام وليس ذلك من قبيل الاتويا كما
 يراه الناقد بل إن اتفاق البهائيين من كل المال والاديان في جميع بقاع الارض اعظم دليل
 على تحقق الغرض المطلوب فعلا ففي مجلس البهائيين لا يمكن تمييز المسلم من المسيحي
 من الزردشتي من البراهمني من اليهودي قد اتحد الكل قلبا وقالوا اخوة انا على سرر
 متقابلين وقالوا سلاما
 عبد الجليل سعد

القاضي بالحكام الاهلية

اطلب من دار العصور والطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

مَعْصِيَةُ الْمَلِكِ نَبِيٍّ الْحَيِّ نَبِيٍّ

وعدة ومفالات أخرى

بقلم

امام عيل مظهر

شيطان بنو نور

المحادثة الخامسة

قال الهدد : كان الغد وجاء الأصيل : وآن الموعد ، فأعملت جناحي استقبل
منفيس . فلما وصلتها قصدت دار العلم والفلسفة فيها ، فدخلتها فرأيت الطلبة يخرجون
من الدرس ، وكانوا يستعدون له بالأمس . وقد أحاطت عصبة منهم بالنسر يمشونه
ويلقون عليه الأسئلة شتى ويأخذون من بحر علمه وروضة بيانه . فأشرقت على
حظيهم أخطف السمع فسمعت أحدهم يقول للأستاذ ما هي الفضيلة يا مولاي ؟ قال
ترك الرذيلة . قال وما الرذيلة ؟ قال هي جاران في دار الجهل ، والبطالة في الشباب .
وسأله الآخر علبتا يا مولاي أن الراحة والسعادة كلتيهما في العمل فدلني على عمل
المستعبد . قال ابن من أنت ؟ قال ابن نجار في المدينة . قال عليك بمنشار أيلك فان
فيه الراحة والسعادة . وسأله ثالث بماذا تشقى هذه البلاد وماذا تسعد يا مولاي ؟
قال بالنيل والنور والمحراث . وألقى عليه رابع هذا السؤال : من العالم يا مولاي ومن
الحكيم ومن الطبيب ؟ قال العالم من لا يتام ، والحكيم من لا يطعم ، والطبيب من
لا يموت . قال هذا هو المستحيل يا مولاي فما تريد بهذه المبالغة ؟ قال أردت أن
العالم من علم بالنهار وتعلم بالليل ، والحكيم من زهد في هذه الدنيا وقنع منها بكسره
والطبيب من ترك طباً يعيش به الناس بعد موته . وسأله تليذ آخر ما هي الفلسفة
يا مولاي ؟ قال هي احتقار الدنيا ورحمة الناس . قال وما فضلها ؟ قال تحول دون الهوى
والغضب وكلا هذين منلة . وقال : وكيف تؤخذ يا مولاي ؟ قال توجد في الطباع
ولا تؤخذ من الرقام . قال الهدد . ثم أشار بالنسر إلى الطلبة أن ينفضوا من حوله
ففعلوا إلا اثنين من خاصة تلاميذه ظلوا يمشيانه وأنا أطير حيث يسرون حتى أخذوا
إلى المدينة ، وعندئذ رفعت فصررت فوق كتف الأستاذ فلم يقف ولم يلتفت . لكن
سمعتة يقول لصاحبه من فاته درسي لا تغوته محبتي ومن صحبني فليصبر معي .

ليس للعلم وطن ولا للحكمة دار . بل العاقل من له على كل أرض مدرسة وعلى كل طريق أستاذ والمدرسة تقوم العقل في طريق العلم ولا تتكفل بوضوئه كالنمير يد السريرة في الاعتقاد ، ولا يتكفل لها بكشف الغطاء . فرب عابد من نفسه وصل ، ومتعلم من نفسه حصل . عرفت صنوف العلم فلم أر كالفلسفة يأخذها المرء من نفسه ، ثم من حيث التفت فرأى . وكلما قيل له فسمع من حديث المتكلم إن صدقا وإن كذبا وصوت الصامت أن بكلمة وإن بكما . ونعيم النعم وبؤس البؤس ومشية المستكبر وهذان المبهوشوعر بدة الكران من النحل في مشاغليها والنحل في معاملها والنر في مستناره والبرق في مستطاره والزهر اقباله وادباره والفلك ليله ونهاره والبحر مضطربه وقراره . ومن النفس إذا اعتلت وإذا صحت وإذا طمعت وإذا قنعت وإذا رغبت وإذا تسلت وإذا حشأت وإذا اطمأنت وإذا شكرت وإذا اجهدت ومن الطباع إذا امتحت والسرائر إذا بليت والاهواء إذا اختبرت . مدارس لا يفرغ اللبيب منها . وندروس لا يصبر الحكيم عنها . قال الهدهد فقمت أن النسر يعتذر وأنه ينهي عن الكلامي بأمر بالسكوت فامتلكت ولم أنفسي . ثم سرنا فمررنا في طريقنا على دار تشيد وبالعنف فيها و بوشك بيانها أن يتم من زحمة لا يفي عليه . وكان ربها عندها بين غلامه وأعرانه وكان الأستاذ يعرفه فاقرب منه وحياء . فتخاطبه النسر قائلا لمن هذا القبر أيها السيد . قال هذا قصر يا مولاي لا قبر . قال وجدنا آياتنا يؤيدون القبور لا الدور لأننا مواطن القرار ومنازلنا جميعا معاشر السفار . فعلام تظلم منتهم ولا تدير في الحكمة سيرتهم . قال أني واهبها للملك . ولا يوهب له إلا ما يليق به . قال إن الملك في غنوة عن مثلها ولو كان ممن يطمحون إلى ما تملك أيدي الرعاية أو يفرحون بما يزلق لهم من ثمين الهدايا لما ساد الأمم ولا اعتز ولا احكم . إنه ليجي . إليه من أقاصي البلاد ويدخل في خزائنه من كرائم المال ما لو جعل بعضه فوق بعض لطاول الجبال . وأنه لأحرى بك أيها السيد أن تهدم هذا الصرح من أسامه . ثم تجرد على كل فقير ينظور جوعا بطوبة من اتقاضه . يثد بها على لحم جلته لتخفف عنه من ألم الجوع . ثم ودعه وسار فإزلا نذهب في المذاهب . والنسر دليلنا حتى انتهينا إلى دار حقيرة البنان عندها صيدان بلعان . فقصد الأستاذ قصدهما ودعاهما إليه وقبلهما فوق جبينهما ثم قال

بخطبهما وعناء تقيضان من الدمع كان أبو كمار رجل صدق، وكان وفيا فتعجز به السماء
فيكما . ثم انفتحت إلى صاحبه وقال ألا أنتكما من مالك هذا البيت الزرى ؟ قال لا
قال ذاك الذي بنى قصرأ ليهديه إلى الملك وهو لا يسمع تلك الأرملة ولا هذين
اليتمين في أجرة شهر واحد . لما أظلم وما أظلم الملك يوم يقبل عديته ، وما أظلم
الحياة وما أظلم الناس . ثم ودعهما الأستاذ وأطلق يمشى ونحن تتبعه حتى دخل
في طريق ضيقة فاندفع فيها حتى أتى عليها وكان في آخرها منزل فوقف به ثم دق الباب
فخرج إليه رجل وقور يدل تجميد وجهه على تقدم ميلاده ، غياه النسر فرد التحية
فأله ما صنع الملك باليتيمين وأمهما قال راقبهم وأمران يجرى لهم رزق من الخزاة
الملكية قال خيراً فعل والخير سحبة فيه فقد أله أهلك فقد أطمأن قلبى ثم تركه
واستمر في سيره والفتيان يمشيان وقد سأله أحدهما من الرجل يا مولاي
قال للملك جواسيس يتخذهم لا على رعيته وعلى هجراته . لكن على المتعفين من
الفقراء ، وعلى الأراامل والأيتام بدلونه عليهم لينظر في أمرهم . وهذا الرجل من
أدلاء الملك على الخير ولا أجرة له على ذلك غير رضى نفسه ، وطلب الحدو لها في
في رمة هذا ما يفعله رئيس ومالك الدنيا ؛ وأمر نديمها بده ، مباركا له في
في الآل والحال والرعية والسلطان وليأتين يوم يتخذ الملوك جواسيس على الأرملة
واليتيم ليلبوهما شبر أرض أو جدار منزل ، فأولئك ملكهم في دمار وتار يخهم في
سجل من عار ثم عطف الأستاذ على حانة عمار فدخل فتخلف الفتان فأبى إلا أن
يقعاه وهناك جلسنا في ناحية وطلب النسر شيئا من الخمر له ولتليذيه وكان أزمانا
ثلاثة فتان ترى عليهم دلائل النسب والحسب ، وكانما عرفوا الأستاذ فاحال أحدهم
حتى نسلل وانصرف وتحول الثاني إلى زاوية فانكش فيها ، ولبت الثالث كما
وجدناه ثابتا لا يتحرك ، فالتفت النسر إلى أحد صاحبيه وسأله قائلا أعرفت هؤلاء
يأبى ؟ قال هم يا مولاي بنو صديقك القائد فلان قال هم بينهم يترددون إلى هذا
المكان وقد علموا أنهم بذلك غشيت في أن تداركهم بالنصح والخرق فذهب ، قبل أن يصبحوا
في رقبا فكيف وجدتهم يأبى ؟ قال أما الأول يا مولاي فيخجل من نفسه ، وأما
هذا المنكش المستر فيخجل من الناس ، وأما هذا الثالث المنكش فلا يخجل من
نفسه ولا من الناس قال أصبت يأبى ثم أقبل على رفيقه وسأله وكيف رأيتك فيهم

أنت يا بني ؟ قال أرى يا مولاي أن يوكل الأول لنفسه لأنها سوف تزجره ، وأن ينصح لثاني لأن المقالة تنجح فيه ، وأن ينهي هذا الثالث إلى أبيه فضحك الأستاذ من جوابه وحكم بصوابه . ثم التفت إلى ذلك الفتى المنكسر وناداه مالك يا ابن الأخ لا تكون رابعاً قال إن أذن مولاي فعلت . ثم خف إلينا جلس معنا فحياه الأستاذ ولاطفه ثم خاطبه فقال ما أحلى الحر يا بني قال أحلى منها يا مولاي هذا التناؤ عليها منك قال كيف تجدها قال فيها لطف وهي محرقة قال كذلك الشرارة لطيفة المنقذ ، وقد نضرم ناراً على بلد قال وأنها تلبس خفية ضعيفة ثم تمكن ظاهراً قوية . قال وهكذا الداء

قال وإن الجسم يستريح معها وتخرج النفس من عالم الهوم ، إلى عالم موهوم . قال خير لشاربها إذا أن يتحرر ، فالراحة كل الراحة في الموت . قال وإنا يا مولاي لعادة والنفس بما اعتادت منقادة قال الآن صرحت بأن كان ولا بد فتخذ منها الطريق ولا تعطها من عقلك وأدبك ، واتخذ منها صحة ولا تتخذ منها فرطاً ، واشربها مع حكيم يقول لها فتى ، واخذها في مجالس الكرام ، فهناك أوائلها طرب ، وعواقبها أدب . قال أنت يا مولاي فيجهد ولو ألححت لما أفطحت ، فلا يكون إلا ما نصحت . قال بقيت يا بني في النفس حاجة أن أباك أشقى من السقاء أن يمدوك وأخربك في الغر فسلطني عليكم ، فإما ذلك الذي استحي قلته نفس تزجره وهي حبه وأما أنت فقد رأيت من عقلك ما يطمئن به قلبي ، وأما هذا الذي يشربها جهراً ويلحظ اللائمين فيها شراً ، فالحيلة فيه قليلة ، والنصيحة معه مستحيلة . فإذا لقيت أباك ، فب من تلقاء نفسك إليه واكفني شبه المن عليه بهداية ولديه قال أمرت بمثل يا مولاي فودعه الأستاذ ونهض وصاحبه على أثره

قال المحدث : فلما خرجنا من الحانة رأينا الناس يزدحمون على بابها ، والتفت إلى النصر فرأيت القبط على وجهه ، وسمعتهم يقول لصاحبه ما أولع الناس بالناس يشتغل أحدهم يشئون أخيه ، وفي أسر شأنه ما يليه

علم الملا أن يتوور دخل هذه الحانة فاجتمعوا ينظرون كيف يخرجهم فلا يستقبل جمعهم ولا يخطئ فيهم ثم فعل فقال أيها الناس الماس فوق التراب ماس ، والحرف خرف ولو حمل على الراس . أما والآلة في معابدهم ، وآباء الملك في مراقدهم ، لرب صادر عن هذا المنزل . أظهر من خارج من هيكل

أيها الناس من ذل منكم فليستر ، ومن رأى ذلة فليعتبر . من علم على أخيه
فليصح له هيبا ، وليرحمه في نفسه ، وليدع له في صلاحه . أيها الناس ثلاثة تعرض
ولا يأمنها أحد : المرض والمصيبة والغواية . وما شكر أحدكم الآلة على الخلاص منها ،
بأفضل من رحمة الوافدين فيها .

وأبتم من السفاهة والمجاعة ، أن يلج شيخ هذه الحائفة اجتمعتم ولو عظمتم للعظم .
إن للعقل كما للقدم ذلة ، وأن للحليم كما للجامل ذلة . وإن النفس مع الهوى مائلة ، والعامل
من إذا مال مع النفس اعتدل . أيها القوم إن ملككم كبير وإن عددكم كثير . أمركم بأفدق
المشرق وسيفكم في كل مفرق . وعداكم يسرون ، وحصادكم يسرون . فاستبقوا نفوسكم
وهذبوها ، وحافظوا على أبنائكم وربوها وأعدوها ليوم تدعوكم الأوطان لتقربوها .
لا تنظروا الغواية أزمكم قلب منكم ذكاءكم وهنتكم ، ودخل الرعاة بلادكم في
شبية الدهر ، فأفقدوا فيها وجعلوا أعزة أهلها أذلة . وإن آياؤكم على أخلاقهم القديمة
بأخذون الفضيلة . ويذرون الرذيلة . صحاح المقول صحاح النفوس صحاح الأبدان .
فاجتمعوا في وقت السكون ثم وثبوا في وقت الزئوب ، فاستزدوا ملكهم بقوة .
وإراد منكم أن تكونوا في الأمن في ردة يصانع من الفضيلة ، لا تأمنون الدهر أن
يأتي على عجل يا حلة السلاح : لا تفتنكم في السلم الراجح . يا حلة العلم لا تغلبكم الخمر على
الحلم . يا معاشر الصانع من كان الوقت رأس ماله والصحة سبب رزقه والكسب
قوت عياله ، فليجهر الخمر فأنها مضیعة للوقت مضرة بالصحة آفة النشاط . قال الهذلي
فيما النسر يتكلموا لجمع يسمعون برز الخمار له بين رجلين من الشرطة . إن استجارهم
فطلبنا إلى الأستاذ أن يمسك عن الكلام وألا يذم الخمر في بيتها ولا يطعن عليها في
وجهها . ثم أبلغه أن صاحب الحانة يدعو إلى المحكمة في اليوم التالي ليطالبه أمام
القضاة . بذل ما ألم به من الضرر ولحق به من الخسارة بسبب هذه الخطبة في هذا
الموقف . فامتنع الأستاذ عن الكلام كما أشار وأجاب بأنه سيوافق المحكمة في الغد ،
وهناك يكون له وللخمار شأن . ثم مشينا نخترق الصفوف وهي تنحى للنسر وتنحى
له في طريقه حتى خرجنا من ذلك القسم من المدينة ودخلنا في قسم آخر فقال الأستاذ
لصاحبه غدا تبارز أنا والخر ومعلم القضاة بيني وبين المتجر . قل أسدما : قد كان
لك بأمولاي غنى عما أنيت . إنك ظلمت انسا من حيث هديت . قال إن الطرق

مدارس العامة، ولا يعلم فيها إلا الخطباء، والرجل يظلم الناس ليل نهار ومن ظلم ظالماً فما ظلم، إني لأشفق من الخمر على الخاصة فإن لم يحفظ عقولاً تردهم أحياناً إلى الاعتدال في أمرهم واشغالاً من العيش وأسباباً من السعة تعينهم على الخمر وتقيم كثيراً من عواقبها، ولكن أشفق منها على العامة فهي فيهم سلطان جائر يقتل ولا يرحم، وشيطان تار يسكن الرؤس فيملأها شرأ وتملك النفوس فيملأها خيائث، وإذا هلكت العامة فقد هلكت الخاصة. قال الهدهد: وبيننا أنا مؤتى بحديث السر أسمع ولا أمله، وإنه قد بجميع ما يأتي وبشر، وإن لم يخاطبني في هذه المرة ولم يخاطبني، إذ قطع الحديث كعادته وتتابعت، فقلت أن الساعة أنت ثم نظر إلى وقال كلمه المألوفة إذا جاء الليل ذهبت الشياطين، فالتفتي غداً في المحكة تسمع وتره

المحادثة السادسة

قال الهدهد فلما كان اليوم التالي سبت من النهار وطوله، ومن ينتظر بأم، حتى إذا مال ميزانه، وأصلت الأفق، ركبها إلى متيسر، وأنا أنظر أن يكون ذلك المحاكاة بآ، أرجو أن ألق منه على درجة القضاء عند المصريين القدماء، لعلى بأن العدل كما قيل أساس الملك ولا عدل إلا حيث القضاء بطور الإله، وبولاه أربابه وثوئسابه، فهو مرآة الحكومات التي تتراعى فيها بما هي عليه من استقامة أو عوج وظلم أو عدل، وصلاح أو فساد، وارتفاع أو انحطاط، وأساس الممالك إذا سلمت وإذا تهدمت تهدمت، وغنوان شعور الأمم وتعلقها ودرجتها في العرفان ومبالغتها من الفضيلة الإنسانية، لأن القوانين التي تضمنها كل أمة وتتواصى بالخضوع لها، ليست إلا مجموعة تاريخها وأدبها وأخلاقها وعاداتها ولأن القائمين عليها هذه القوانين ليسوا إلا أفراداً من أبنائها يصرون بعينها ويستمعون بأذانها، ويشعرون مثل شعورها ويحسون مثل وجدانها فإذا زكوا زكا سائر الأمة، وإذا خبثوا، خبثت الأمة جميعاً (قال) فلما احتوتني المدينة رأيت الزمر آخذين طريقاً يتدفقون فيه فقلت في نفسي لعل الزحام من أجل بقرور وقصبة وطفت أطير إلى حيث يسرون حتى جمعت الجموع دار لديها هالة، وعليها من العدل رونق وجلالة فقلت في نفسي دار القضاء لا تحلق بمرفق من فوري فصرت فيها أجول مع الجائلين في نواحيها، وهناك علمت أن هذا

الباالرفيع مقر حاكم القسم ، وأنه يجلس فيه للقضاء بين الناس . فقد رأيت كثيراً من دور الحكومة في الاقاليم وهي التي يجلس فيها عند البلاذوايعيانها ، وحكام القرى للفصل في المنازعات . فلم أر ما يحاكي رفعة هذه الدار . فأجابني أحدهم أن قسم الصناعة اكبر اقسام المدينة بامولاي فلاغروان تكون دار الحكومة فيه بهذا العظم . لكن أبأذن لي مولاي ان سأله ألم ين الحكومة جلالة الملك أن تجعل القضاء هلامستقلاً ونظاماً قائماً بذاته فلا يقضى بين الناس شيخ القرية ولا حاكم القسم ولا قائد العسكر ؟ قال وأى بأس هؤلاء اذا اتدبوا للقضاء وهم أشد الناس امتزاجاً بالاهالي وأعرفهم بطباعهم وأحوالهم وجليهم على معرفة واستقامة الاخلاق . بل أن الاهالي كثيراً ما يفرعون بمنازعاتهم الى افراد منهم اشتهروا بالعلم والخبرة ليفصلوا بها وهم يرناحون الى قضائهم ويقبلون احكامهم ويمتنون الصارم منها كالجلد . وربما كانت هذه الاحكام أدنى الى العدل واقرّب للصواب مما يصدره قضاة تقيهم الحكومة ولا تفتيهم .

ولقد رأيت الحكام في القرى اذا قصدوا للقضاء جلس بجانبهم نفر من الكتاب والاعيان ليجدوهم بالرأي ويرعوهم الى الصواب فيه . قال المحدث : استغربت هذه الأنوال وعجبت بدهر كيف نشأه وجهه وآخوه . فهذا قضاء العمد كان من ضمن نظامات المصريين القدماء . وفي اليوم الشغل الشاغل والمسألة الكبرى في مصر ، وهؤلاء المحققون كما يؤازرون القضاة على عهد القراصة وهم اليوم من ضرورات القضاء في باريز مركز الحضارة الحاضرة . ثم التفت لفرحونه وقال لا تنهيه ما أجل هذا الموقف . وهناك بصرت بالنسرة في ناحية يحيط به جماعة من اصدقاءه وتلاميذه ، فأقربت منه فيبط مستقرى من كتفه ، فالتفت مبتسماً فقال : جعل هذا الموقف للنضيلة ينصرها فيه دعاتها ، كما جعل للجرائم يختص في جناتها . والمتسلان فيه اثنان جان تعلن برأيه ، وهذا يبكي عليه من في الارض ، ويرى تعلن جنابه ، وهذا يبكي عليه من في السماء . ومن له أن اكون الثاني ؟ فقال له أحدهم قضاء منفس بامولاي قضاة عدل ودواية ، فلا خوف على رفيع شرفك منهم .

قال لا يخطر ببال القاضى العادل ، ولا يخطئ الا القاضي العليم ولو ان استؤود أن يحاكم نفسه بخل في شأنه مع الخار ، فلم يدرك قضى نفسه أم عليها . قال أحدهم هبهم بامولاي حكموا لصاحب الحانة بشيء من المال يأخذه منك عوضاً لما ملق به

من الخسارة المزعومة، فما يكون شأن هذا الحكم. قال أكون قد أعطيت الفضيلة شيئاً من مالي لا استكثره عليها ولا أتبعه المن. فسأله آخر ما القضاء بأمور لاى؟

قال محكمة ظاهرة، ألجأ إليها فساد المحكمة الباطنية، قال فما العدل؟ قال شيء كان مع الإنسان الأول، حين لم يكن له في الأرض شريك يراحمه، وكان لا يجد عليها من يظلمه. قال الهددنا فيما السر واصحابه في الحادث إذ دعى المتقاضيان للمثول في موقف القضاء فدخل الاستاذ وقرر من الشهود له وعليه وكان القضاء نحو سبعة هم حاكم القسم ومعاونوه من كتاب الناحية واعيانها، وكان متردياً حلة للقضاء بضاء خضافية محلاة الحراش، تزهو بقلادة العقبان التي كان الحكم يزينون بها صدورهم كلما جلسوا للحكم بين الناس. فلما صار السر بين أيديهم قال له الحاكم أيها الاستاذ إن لك بمقتضى مناصبك السامية في المملكة أن ترغب عن قضائنا الى قضاء جلالة الملك، كما لك أن تقبل منا قضيتنا لك أم عليك فأنظر ماذا تأمر.

قال رحيت بقضائكم لأن مناصبي السامية في المملكة ليس من شأنها أن تميزني على خصمي هذا في موقف يستوى فيه الخصوم ويقتصر فيه للحصى من النجوم. فاسمعوا له ولي، ثم اقضوا ما أتم قاضون، قال إنه يقول أنك أذريت به وبتجارته وأنه لا بد له من بدل ويطلب من المحكمة أن تحكم له بما لا يأخذ من ملكه وقد جاء بشهود من عند اللاتبات قبل جئت بشهود من عندك للثقي؟ قال ليس لي شهود من عندي أيها القاضي وما خطر لي قط على بال أن الشهادة تجزأ، لأنه لا فضيلة ولا عبادة حيث يختلفان في شهادة وإن لا تعجب لكم معشر الحكام كيف يقولون من شاهد أن ثبت ومن آخر أن ينفي، وأتم تعلمون أن أحدهما كاذب أو محرف للشهادة لا محالة، وقبول الكذب اغراء به.

أن الشاهد دعاية القضاء، إذا تمت متن، وإذا وهنت وهن بقوموه تقوموا به لو أن من الآلهة قضاء في الأرض، ومن الملائكة متقاضين، وفسد الشاهد لفسدوا جميعاً. الشاهد عنوان الأمانة فأجعلوا عنوانها الصدق والفضيلة، لا المين والرياسة. أن شاهدين يقول أحدهما رأيت نهاراً فيقول الآخر رأيت ليلاً ويقول الأول سمعت. صحيحاً. فيقول الآخر سمعت بكاء. لمن حقهما أن يفصل بينهما قبل أن يفصل بين المتقاضين فمن كذب منهما يسلب السمع والابصار، وينادى عليه في الناس بالفضيحة والعار. قال الحاكم إن مقام هذا المقال المدرسة، لا المحكمة أيها الاستاذ ولا بد لنا أن

تسمع الشهود، فليخرجوا وليبق واحد، فخرجوا إلا واحدا فطلب القاضي منه أن يؤدي اليمين القانونية . وهي عند المصريين القدماء، أقسم بحياة الملك وبنعمة الآلهة . فإذاها ثم قص على المحكمة ما رأى وما سمع وحدث القضاة حديث الخطبة وأعاد عليهم منها حتى فرغ من الشهادة فذهب لشأنه وجىء بغيره فإذاها ثم شهد ثالث ورابع وخامس فرأيت الكل على خلق واحد من توخي الصدق والتوجه إلى الحقيقة والابحاز في العبارة . فنبطت قضاة الفراعنة بهم وبساتر الأمانة، أمة الأخلاق ورثت في نفس أقضائنا علما بما يكابدون من جهل الشهود وروغائهم من الحقيقة وخطبهم في المقالة بما يخرج القاضي أحيانا من مكتنه يفتت خواطره ويذهب بشعير وفنمسي . ثم طلب القاضي من صاحب الحانة أن يشرح دعواه ، فتقدم رجل أسمر اللون ، صغير الحامة ، رقيق العنق قبيح الوجه ، فسأله الحاكم من أنت قال فلان الكاتب يامولاي ، أنا بنى صاحب الحانة عنه في تقرير شكواه ، وشرح دعواه . قال إذن تكلم فاقسم الرجل ثم شرح بقول :

«دخل السيد الأستاذ يثور وصادق ملك العالم حائقا الذي يشارع الصناعة يصحبه خيان قلبك فيها ريتا شربا قدحا من فيد متفيل ، ثم خرج فلم ندر به الا وقد وقف باب الحانة فتمعه ، واعترض للناس في طريقهم إليها فقطعه ، وخطب في المارة بعد ذلك فاستوقفهم ، وجلب الزحام بعضه بعضا حتى خيل للرائي أن الحانة قتل فيها قتل ، أو حدث فيها حادث جليل ، وكانت الخمر موضوع خطبته أولها وآخرها ، فوصفها بأفصح الأوصاف ، ونهى عن شربها وحذر من عواقبها وذكر مضارها وبين نصيب كل طبقة من طبقات الأمة منها وحالت خطبته هذه حتى سمعها خلق كثير ، ومن قاله أولها لم يفته آخرها . ويعلم القضاة من جهة أن تجارة الأهليين حرة في بلاد جلالة الملك ، وأن قوانين جلالة لا تحرم الخمر ولا تمنع من المناجزة بها . ويعلمون من جهة ثانية أن للخطابة مواقف لم يكن ذلك الموقف منها . فلو قال الأستاذ في الحرم ما قال وهو في المنعبد بالهيكل أو في التعليم بالمدرسة ، لما وجد لائما ولا مؤاخذا لكنه عند الشخص معين فأزوى به وبنجارته يمرأى وسماع من الكافة، ويعلمون كذلك أن آلاف الحانات بين الناس هم العامة في الغالب ، وهؤلاء يتأثرون بذكر اسم الأستاذ بنشور ، فكيف إذا سمعوا حديثه وكان مداره في الخمر في يتها ، وتقيح تجارته بين أعين تجارها ويعلمون

أيضا أن المارة في أي قسم من أقسام المدينة إنما يكون معظمهم من أهله وسكانه ،
وحاشا أنما جعلت لأبناء تلك الناحية التي خطب الأستاذ عليها ، فكل ضرر ينشأ
عن خطبته إنما يلحق بالحانة وبصيب صاحبها بالذات. هذه شكوانا بسطناها للحاكم
واعوانه آملين من عدالتهم أن يقدروا الحسارة التي سببها الأستاذ لنا بخطبته وأن
يسوموه أداء العوض اليانفحين فرغ الرجل من شرح الشكوى لم يمالك بثوور أن
ضحك ثم قال

أيها القضاة اعطوا الخار من مالي ما تشتم ، ولا تعطوا هذا الاحق منه قليلا . فسأله
الحاكم وأي علاقة بينكما وليس هو الا محاميا عن صاحب الحانة ؟

قال علت انهما اشترطا أن يكون له النصف مما تحكمون به علي ، وأن الخار عارضه في ذلك
بادىء يده ، فكان جوابه أن التجارين سواء . فكأن أن الخار يسلب الناس أموالهم
كذلك المحامي يشاطرهم أرزاقهم . وزعم الخصم أن قوانين جلالة الملك لا تحرم الخمر ولا تمنع
من المتاجر قها ونحن نقول أنها تبيع السم أيضا ولا تحظر الاتجار به ، ما دام من العقاقير ،
وكل ما أخذ بمقادير . على أننا لم نحرم الخمر ولم ننه عنها ، وكيف وقد شربنا منها
عددا باعتراف الخصم . لكن دعونا الناس الى الاعتدال في أمرهم وأخذ القليل منها ،
إذا لم يكن من شربها يد . فقلنا كمن يقول لحم وهو على باب صيدلية لاحانة : يا أيها
الناس لا تأخذوا السم إلا بمقدار ، فهل علينا ان قلنا هذا من حرج ؟ شتان بين النوعين
من السم : هذا يأخذه المرء وهو يعافه . وهذا يتناوله وهو يلتهه . هذا يتجرعه وهو
يدري . وهذا يتعاطاه وهو لا يدري . هذا إذا أخذ قليله نفع ، وإذا أخذ كثيره أراح .
وهذا صمة تزول . وشعور يعثور ذبول . وعلة تطول . وميته عذابها يهول .

وزعم الخصم أن للخطابة مواقف لم يكن ذلك الموقف منها . ونحن نقول ان الموقف
لم يكن أصلح من الخطابة لأن قدحا من الخمر لا يرى له إلا في الحانة ، كما أن الميت لا
يؤثر إلا في القبر . وزعم الخصم أن خطبتنا من شأنها أن تؤثر في العامة الذين هم
المشاؤون إلى الحانات ، وهذا ما كنا نعي . فأنا تلقى بالخاصة في المجالس ، ونكتب لهم
ما تصل اليه أيديهم وافيهم . لكن لا يجمعنا والعامة الا الطريق ، ونصحهم دين علينا
أيها لقيناهم . وزعم الخصم أن البلاء مقصور على حالته ، لأنها أنما جعلت لأبناء الناحية

التي حاربنا فيها الخمر ، فأصبح ينتظر في سكاكنها ان يولوا الوجوه عنها بهذا يسرونا
بقدر ما يحزن صاحب الحانة فقد ودنا لو عم النفع ، بقدر ما يخص الضرر .

أيها القضاة لا تحكموا للخمر فتحكموا على الفضيلة ، ولا تقضوا له فتقضوا على
التجارة الشريفة . لأن المتاجر بالخمر قاسي القلب لا يرحم صرعاه ، اغدار لا يشيع جنازة قتلاه ،
غشاش لا يقف في الغش عند حد ، شره لا يقصر في الكسب عند غاية . فإذا لم يكن
منكم رقيب عليه ، ولم يضرب القضاء على يديه ، عظم شره ، وعم ضرره ، وتشبه به
الكثيرون من اهل الكسل والشره ، ثم تعلق القاضي بهذا الحكم

ونحن حاكم قسم الصناعة من أسباب حكنا الذي تصدره باسم جلالة الملك مقتبس
من أنوار عدله المشرقة على العالم أن اليات موازية الاعمال ، لا تقضي للقضاء عن تقديرها ،
والتأمل فيها ، والوقوف حيث هي من صلاح أو فساد في الحكم على صلاح الاعمال
أو فسادها . ونية الاستاذ بنتور يوم خطب في شوارع الصناعة كانت مقصورة على أن
ينفع الناس ولا يضر بصاحب الحانة . وأيضا أن الفضيلة هي روح الشرائع التي يحكم
بها جلالة الملك رعاياه ، فلا ينبغي لها أن تنصر عليها الرذيلة في حمال من الاحوال .
والاستاذ بنتور انما نهى عن الاكثار من الخمر وادمانها الذي هو رأس الرذيلة . ويرى
لذلك الاستاذ بنتور هو من كبار أساتذة الأمة ، واهل الارشاد فيها . وهذه الوظيفة
العالية يؤديها أمثاله الحكماء في كل زمان ومكان أينما وجدوا وكيفما ارتأوا ، وكل
مرض لهم فيها تعرض للفضيلة . وبناء على ذلك حكنا بطلان دعوى الخمر وان يدفع
الى الاستاذ بنتور عشرين قطعة من الذهب لأنه سلبه بعض وقته الثمين وأضره عن
اشغاله النافعة في دعوى لم يكن من شأنها ان ترفع الى القضاء . ولهذا السبب نفسه حكنا
على الكاتب ، فلان ، المحامي عن الخمر بخمسين جنية يجلبها في صحن دار الحكومة
هذه بمشهد من الناس عقوبة له على غشه صاحبه ولكيلا يجترى . أمثاله الكتاب على
أخذ أموال الناس بغير الحق . قال الهدهد ثم تآب النسر ثأوبه المعهود فاه بكلمته المألوفة :
اذاجاه الليل ذهبت الشياطين ، وامرني ان القاه غدا ذلك اليوم في دار الأمير (أوني)

شعر الآلة تصوير

جامعات الجزائر

The Gleaners

(الصورة من رسم جان فرنسوا ميليت - Jean Francois Millet - ١٨١٤م -
١٨٧٥م، وهي من نقائس متحف اللوفر)

يَلْقُظْنَ مُنْبَثُ الْجَزَارِ كَأَنَّمَا • يَتَحَنَّنُ عَنْ كَنْزِ بَرُوحٍ بِحِيلِ
وَيَسِيرُنَّ فِي صَبَرٍ الْحَكِيمِ مُنْقَا • عَمَّا يُفِيدُ ، بِنَشْوَةِ التَّامِيلِ
خَلَّتْ الْحَقُولُ مِنَ الْفَلَالِ وَتَلَقَّتْ • وَعَلَّتْ جُوعٌ ذُرُوبَهَا كَتَلُولِ
وَالنَّاعِي فِي مَرَجِ النَّشَاطِ حَيَاَهَا • وَالْأَرْضُ بِأَحْمَةِ رَدُّ جَمِيلِ
صَفَرَاهُ مِنْ ذَهَبٍ كَشَسِ أَصِيلَا • وَالْجَوُّ مَضُولٌ بِتَبَرٍ أَصِيلِ
وَالْقَرْيَةُ الْحَرَالَةُ نَمَّ قَرْيَةٌ • يَبْنَاهَا وَرَجَالُهَا وَخِيُولِ
عَانُوا لِفَرْحَتِهَا يَوْمَ حَصَادِهِمْ • وَأَقْوَا بِشَاشَتِهَا أَحَبُّ بِدِيلِ
لَا يَدْعُ إِنَّا غَنَوْنَا وَأَشْرَقَ يَوْمُهُمْ • وَاسْتَفْرَقَتْ خَيْلٌ لَمْ بِصِيلِ
لَا غَرَوْنَا إِنَّا نَمَّ أَسْرَقُوا فِي حَبِيمِ • لِلْأَرْضِ أَوْ صَكَرُوا مِنَ التَّقِيلِ
وَمَضَتْ رَشِيقَاتُ النَّسَاءِ جَوَامِعًا • هَذَا الْجَزَارُ أَزْكَاهُ طِبُّ عَظِيلِ
يَجْمَعُهُ فِي زَهْرِهِنَّ كَأَنَّهُ • أَوَّلَى بَأَن يُخْتَصُّ بِالتَّكْلِيلِ
وَحَتَيْنَ رَاضِيَةِ الظُّهُورِ بِلَاوَنِي • فِي حِينٍ لَا تُحْفَى لَغِيرِ جَلِيلِ
وَحَرَصَنَ طَيِّئًا مُلَاقَاةً فِي حِفْظِهِ • حِرْصُ الْمَضِيفِ عَلَى حَيَاةِ تَزِيلِ

وَعَدَّةٌ سَيَقَانٌ نَبْتٌ مَيْتٌ • وَعَدَّةٌ أَنْرَأَ لِرُوحٍ تَهِيلٌ
 وَكَذَا الْحَيَاةُ رُسُومَهَا فِي قَدَرِهَا • تَمِيعٌ يَلْخُظُ الْفَهْرُ وَالتَّأْوِيلُ
 هَذَا الَّذِي أَصْفَرَتْهُ رِصَالُهُ • حَيَاءٌ مَنْ يَلْقَاهُ غَيْرَ ضَمِيلٍ
 وَتَعَافٍ مَنَظَرُهُ، وَغَيْرُكَ رَاسِمٌ • أَلْوَانُهُ فِي الشَّعْرِ وَالتَّهْوِيلِ (١)
 سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْجَمَالَ مَوْزَعًا • هَذَا الْجَمِيلُ يُخَالُ غَيْرَ جَمِيلٍ !
 أَبُو شَادِي



(١) التهويل : النقش بالألوان ، ومنه التهاويل بمعنى التصاوير . قال ابن الرومي
 في قصيدته عن يوم المهرجانات (التي رفعها الى عبيد الله بن عبد الله) من وصفه للأيوان :

لَمْ يَكُنْ يَبْتَنِي الْمَسَاكِينُ حَتَّى • يُدْقَنَّ الْحَمْدَ أَيْمَانًا إِتْقَانًا
 فَأَذِيلَتْ بِهَا تَهَاوِيلُ رَقَمٍ • قَلَمَاتٍ بِزِينَةِ الْمُرْدَانِ

الدين وعلم النفس الحديث

الحياء

لسنا في حاجة الى اثبات الصلة بين الحياء والدين لان الاحاديث والحياء شعبة من الايمان . وه اذا لم تسخ فاصنع ماشئت ، وغيرهما هي احاديث معروفة متداولة ولازيد ان نبحث في الفرق بين الحياء والحجل والحشعة الخ ، لان هذه فروق لغوية لاقبعة لها في بحثنا هذا ، وليكتنا نريد —

(١) ان نلفت النظر الى بعض مظاهر الحياء التي كثيرا ما نسيها فيها (٢) ان نحاول فهم الحياء وتحليله بأن نطبق عليه بعض نتائج ابحاث علم النفس الحديث

ليس الحياء محصورا في احمرار الوجه واطراق الرأس وأمثاله من المظاهر المعروفة بل انه له مظاهر أخرى أقل وضوحا وأكثر تعقيدا. ترى مثلا ان بعض الناس يخاطبك بصوت مرتفع حين لا حاجة لرفع الصوت ويبدى انوارا من الجراءة والوقاحة وعدم الاكثرات ولا داعي الى شيء من ذلك قد يخطر لك ان في هذا السلوك شيئا من الغرابة ولكنك لا تشك مطلقا في كونه جرأة وقلة حياء . ولكنك اذا درست هذا النموذج من الناس ودققت في ملاحظة سلوكهم يتبين لك ان ما تظنه قلة حياء هو في الحقيقة مقاومة شدة الحياء ... ارتفاع الصوت هو وسيلة الى اخفاء ما قد يصيب الصوت من الاضطراب بسبب الحجل ، والوقاحة ليست الا ستارا تخفي وراءه مظاهر الارتباك الذي يسببه الحياء . وهكذا يمكنك ان تفسر أيضا الجراءة التي في غير محلها وعدم الاكثرات وغيرها. وتري آخرين اذا دخلوا محلا عموميا — حديقة جروبي مثلا — وكانوا مضطربين ان يخترقوا صفوف الجالسين أخذوا ينظرون الى ابعد نقطة في المحل كأنهم يبحثون عن شخص ينتظرهم هناك مشتغلين بالتصغير أو البحث في جيوبهم عن المتدبل ومسح جيوبهم ورقبتهم ولو كان الفصل شتاء . أو يخرجون الساعة وينظرون فيها طويلا كأنهم يفكرون في حلول الميعاد وعدم حضور الشخص الذي ينتظرونه . أو يغيرون العصا والقفاز من يد لأخرى . وقد يقفون في وسط المحل ويدهم على خلاصرتهم أو تلاعب سلسلة الساعة أو ازرار الصدر . واذا كانوا اثنين رأيتهم يتحدثون كما لو كانوا وحدهم

في المكان و يغربون في الضحك غير ملتفتين إلى أحد من الجالسين . قد تجد أمثال هؤلاء . وتقول لنفسك ان تلك هي الشخصية الحرة القوية التي لا تعرف آلام الخجل . وتعي أن يكون لك ولو بعض تلك الحرية . ولكنك لو أوقفت احدهم هؤلاء بفتة أثناء اختراقه الصفوف لرأيت أن حرته وعدم اكترائه يتحولان إلى ارتباك ظاهر وصغيره يصير شيقا ونظره الثابت يضطرب وتراه ينظر إلى عدة جهات في وقت واحد . وذلك لأنك فاجأته بمقاطعة تفكيره الذي كان منحصرا في مهمته الشاقة بمهمة مقارومة الحياة من مئات الاعين التي يظن أنها تنظر اليه . وهناك آخرون اذا صافحتهم ترتعد يدهم في يدك وتشعر انهم يحاولون التخلص منك . وبعضهم لا يطبق المصافحة مطلقا ويجذب يده بشدة اذا أنت اطلت المصافحة . بعض الناس يقولون ان ذلك دليل على خيب الطوية وسوء النية نحو الشخص الذي لا يطبقون مصافحته . ولكننا نعتقد ان هذا احد مظاهر الحياة الذي نسي فهمه ونخطئ في تأويله لان هؤلاء يفعلون ذلك دائما ومع كل الناس حتى مع الذين يلتقون بهم للمرة الاولى ولا يعرفون شيئا عنهم ، وانما هو نوع من أنواع الخجل فكما أن بعض الناس يخجلون اذا اطلت النظر اليهم فهو لاء ايضا يخجلون اذا اطلت مصافحتهم . ومن مظاهر الخجل الكبرياء ، فقد عرفت فتاة انكليزية يكرها اكثر معارفها لتكبرها ولما خاطبها في ذلك اعترفت بان ذلك حياة لاكبراء . وانها اذا اجتبت الناس أو ظهرت كأنها لا تكترث بهم فهي انما فعل ذلك لتحمي نفسها منهم لانها تخجل حتى من سماع صوتها ووقع أقدامها اذا كان هناك شخصا آخر يسمع أو ينظر . . . وهذا يذكرني بأحد اقاربي . كنا نقول عنه انه يمضي بالحمامة و ينظر كالارب ويتكلم كالأفعى . وتقول ذلك تأويلات مختلفة ولكنه في الحقيقة كان من الذين يستحون من سماع صوتهم ووقع أقدامهم . وعرفت شابا شرقيا كان مشهور بكثرة التواضع ينحني لكل صغير وكبير ولا يدخل قبلك محلا ولو كنت أنت البواب لذلك المحل ويحفظ عددا كبيرا من عبارات الاحترام والمجاملة ويستعملها مع الجميع على السواء . كان محبوبا عند معارفه واصدقائه ولكن كان في تواضعه شيء . يضاهقني شخصا . شيء غريب وغير طبعي ، وبعد مراقبته مدة طويلة تبين لي ان التواضع هو سلاحه الذي يتقي به عسيات الخجل ، يكثر من الأدب والتواضع ليغفلك عن نفسه ويشغل نفسه عن نفسه . هذه بعض مظاهر الحياة التي لاحظتها

ودرسها شخصيا، وهي تدل على أن الحياء أقوى تأثيرا في سلوكنا وأكثر انتشارا عما نظن. والآن ننظر في الحياء نفسه .

الحياء في العربية من أسماء الرحم كما في التخصص وغيره من كتب اللغة. وفي الألمانية أيضا يطلقون لفظة Scham على الحياء الذي هو بمعنى الخجل و يطلقونه أيضا على الأعضاء الجنسية للرجل والمرأة. ومن معاني لفظة Pudour الفرنسية الحياء والعفة وعلاقة العفة بالأعضاء الجنسية واضحة. وفي العبارة الانكليزية Private Parts ما يشير الى نفس العلاقة بطريقة غير مباشرة. وفي بعض اللغات العربية الدارجة نجد ما يقرب من ذلك. ففي تونس مثلا يسمون الأعضاء الجنسية للرجل « محاشم » من الحشمة وفي الجزائر والمغرب الأقصى توجد عبارات يمكن أن تدل على الحياء وعلى العورة معا. فكان الحياء يذكرنا بالأعضاء الجنسية والأعضاء الجنسية تذكرنا بالحياء . . . ثم اننا نلاحظ أن درجة الحياء تختلف باختلاف الجنس. لأنني تكون غالبا أكثر حياء من الذكر الذي في منها. ولعل ذلك يرجع الى أن الأنثى أكثر شمورا بأعضائها الجنسية من الذكر. الرجل إذا انهمك في عمل من الأعمال قد ينسى أعضاءه الجنسية وكل ما يتعلق بها مدة طويلة. أما المرأة فلا تستطيع ذلك لأن الحيض الذي يتكرر شهريا ويدوم أياما وما ينبهه من الاضطراب الجسمي والنفسى يذكرها دائما بانها أنثى وأن لها أعضاء جنسية. ثم إن المنطقة الجنسية في المرأة أوسع منها في الرجل. ثديا المرأة منطقة جنسية مهمة ليست أقل أهمية من الرحم نفسه. وترائبها أيضا منطقة جنسية. وأسفل بطنها وأعلى فخذيها وعجزتها وساقاها، كلها مناطق جنسية. فحجم المرأة يكاد يكون كله منطقة جنسية أو مجموعة مناطق جنسية تفتن وتفتن وتثير الشهوات وتثار فيها الشهوة. وذلك هو سبب الخصومة بين الدين والفرس في هذه المسألة. التحت والتصوير يبلان إلى الجمال العاري لأبرار الكهنة والبطن والفخذين وبقية المناطق الجنسية. والادب ملوئ بذكر الترائب المصقولة والنهود المستديرة والكشع اللطيف والعجيرة الضخمة والساق النرماء. والدين يعتبر كل ذلك « عورة » ويحرم كشفه ويعد كشفه حرام وقلة حياء. فالمرأة أكثر حياء من الرجل لأنها تشعر أن كل جسدها عورة وأن النظر اليه لا يكون الا نظر شهوة. ونلاحظ أيضا أن الحياء يختلف باختلاف السن. فهو يكثر جوارعا عند المراهقين ثم يأخذ في التناقص

شيئا فشيئا عند الشبان فالتفتان قال كقول الشيوخ قد يطرأ على هذا الترتيب الاضطراب والتداخل وقد يكثر عدد الفوائد في بعض اليئات لاسباب مختلفة . ولكن بما لاشك فيه ان اغلب المراهقين من اكثر الناس حياء واكثر الشيوخ من اقل الناس حياء . وذلك الان المتقدمين في السن لكثرة معرفتهم واختبارهم للاعمال الجنسية . قد زال منهم الخوف من تلك الاعمال فهم ينظرون الى المرأة كما ينظرون الى طعام اعتادوا اكله أو ثوب اعتادوا لبسه بدون خوف ولا حجل ولا ارتباك . وليسوا بالشبان الذين ترتعد فرائضهم اذا لامس جسمهم جسم امرأة أو نظروا الى جزء صغير من ثديها أو معا فوق ركبتيها . هذا بعض ما يمكن ان نصل اليه بالملاحظة والاستنتاج فإذا نحن استعنا بهذا صكرة ورجعنا بها الى عهد الطفولة نذكر اننا نسمع كلمة حياء لأول مرة عند ما تكون لا تزال بين الثالثة والرابعة و تكشف عن أعضائها الجنسية أو تلبسها أو تلبس بها أو تسمى اليها بالكلام فيقال لنا أو لا — لا تفعل ! وإذا لم نتفجر **بالعبارة** — (الاستحي) أو ما يقابلها في مختلف اللهجات واللهجات . فإذا نحن تمادينا نعاقب بالضرب أو بغيره فنفهم حينئذ ان الحياء هو أن لا نطعم بأعضائنا الجنسية وإن لا نتكلم عنها وأما اذا فعلنا ذلك نعاقب . ولدينا نستر على ممارسة ذلك سرا لئلا نجد لذة في ذلك اللبس واللبس اللذان يصيران فيما بعد استعناء وعادات سرية أخرى فإذا عثر علينا ونحن نفعل شيئا من ذلك نذكر العقوبة فتخاف وتربك و (نخجل) و يقال لنا من جديد ان ذلك الفعل هو عيب وقباحة و (فلة حياء) ولكن الغريزة الجنسية لا تخوف بالعقاب ولا تنجم بالمواعيد . لذلك تبقى قوية جريئة ملحة واذ ذاك يتبدى المراك بين العقل الظاهر والعقل الباطن أو الذات المهيبة والذات القطرية . الأولى تنكر الغريزة الجنسية وتكتمها وتناماها . والثانية تطالب وتلح وتثور ونتيجة هذا المراك هي الحياء أي الخوف من أن يتصر العقل الباطن على العقل الظاهر فتنتضح . والدليل على ذلك هو أنك لا تكاد ترى للحياء أثرا في العائلات العصرية المتعلمة حيث تقل الخرافات والتقاليد والخوف من عقاب الدنيا والآخرة . وحيث يتعلم الطفل ان أعضائه الجنسية هي كغيرها من الأعضاء وليست محررة أو موهبة يفهم أن سوء استعمالها لا يطبق بنفس الطريقة التي بها يفهم ان سوء استعمال فمه أو يديه لا يلقى

ودليل آخر هو غياب الحياة مدة النوم عندما تضعف رقابة العقل الظاهر الأشياء التي
تستحي من فعلها في اللحظة نفعلها بدون حياة في المنام، اذا انتهى الانسان امه أو أخيه
مثلا في حالة القطة يستحي ويتردد الفكرة من نفسه في الحال. ولكن اذا حصلت تلك
الشهوة في الحلم فقد يقضى وطره دون ان يشعر بأي خجل او ندم لان العقل الظاهر
يكون اذ ذاك غير متيقظ.

أرد دونك يقظانا وبأذنك لي ه عليك سكر الهوى إن جئت وصننا
هذا هو منشأ الحياة فاذا تمكن وصار عادة يمتد تأثيره الى كل الشخصية ويصير
ضعفا خلقيا عاما او نوتا من الجبن فيستحي الانسان من كل شيء - من التصريح بمبدئه
والمجاهرة بعقيدته والتعبير عن آرائه، ويستحي حتى من الحق ويكذب ويخدع ويراقى
من شدة حياته.

اما أهمية الحياة في الدين فلا صعوبة في فهمها اذ الجانب العملي من الدين هو المنع
والتحريم. والحياة يساعد على ذلك. لان الذي لا يستحي لا يقسم بسهولة بحكمة الحرام
والحلال والمكروه والمستحب بل يشك ويسأل لماذا؟ ويجادل في آيات الله لانه
لا يستحي.

طاهر نجدي

مبورج

الحب

أول الحب في القلوب شرارة	تختفي قارة وتظهر قارة
ثم يرقى حتى يكون سراجا	النويه فيه هدى واناره
ثم يرقى حتى يكون مع الايام	قارا حرام ذات حراره
ثم يرقى حتى يكون أتونا	بحراراته تذوب عن الحجارة
ثم يرقى حتى يكون حريقا	فيه هلك لاهله او خسله
ثم يرقى حتى يحل بركا	فا يرى الناس من بعيد ناره
ثم يرقى حتى يكون جحيما	عن تفاصيلها تكل العبارة
	جميل صدقي الزهاوي

جان دي لا بريير

وكتابه « الأخلاق »

جان دي لا بريير أخلاقى فرنسى رسم بقلبه عواطف الانسان ، وأبدى مكنونات
هواه ، وأظهر ما تكنه جوانحه من نزعات وما تعني غيبه ضلوعه من مرام ، مظهرآ
الفاسد منها نقداً للموج ، محبباً القديم ، حتى اذا أراد امرؤ الأخذ بالصالح منها
وجد على متاول يده

ولما كانت الاخلاق عنوان مجد الأمة اذا حسنت تمت الأمة وسادت ، واذا
فسدت اضمحلّت وبادت ، رايانا أن تبدأ مقالاتنا الأدبية بتحليل نفسية هذا الكاتب
الاخلاقى ، ونقد كتابه المسمى « الاخلاق » مدلين على مواضع الاجادقته ، ومبينين
مواطن النقص فيه وناقضين الى العربية مقتطفات منه ليدرك القارىء ولو طاماً فوائد
هذا المؤلف الذى لو أتيح له مترجم الى العربية متضلّع من معانيها مشبع من يائنها
واقف على دقائقها ، لأدى بتعريبه خدمة لا تقوم بحال .

حياة لا بريير

ولد لا بريير فى باريس سنة ١٦٤٥ واستمر الله سنة ١٦٩٦ أن يجرى له فى حياته
حدث يثير الاهتمام ، فقضى عمره فى معية البرنس دى كونويه الكبير مثقفاً ابنه ومقلداً
إمام العلوم والمعارف ومقوما اعوجاجه ، ومصلحاً من التواء مير له .
ولما كان دائم التردد على البلاط الملكى الفرنسى أبصر بعينه النقادة ظلم النظام
الاجتماعى الذى جعل الناس طبقات تسمر الواحدة على الأخرى فترهقها بالمغارم
وتسقيها الذل والهوان ، وتحملها أنواع الخسف والجور . ورأى مخابة الطبيعة فى
توزيع الهناء فتخص به من لا يستحقه ، وتمنعه من هو له أهل وتبدي له شقاء العامة
وما تحمله فى سبيل العيش من كدح يضئها ، وكد يضيئها دون أن تصل الى هانئ
به رفقها وتدفع به عن نفسها غائلة الجوع فتفجرت عواطفه وجاشت ميوله وآلى على
نفسه ان يعمل لأصلاح هذا الحال فعرب كتاب الاخلاق لنيوفراست اليونانى وأردفه

بآخر من تلج فريخته و نهار مشاهداته فكان نهراس هدى لمن يريد أن يهتدى الى
قويم المبادئ وحيد الحصال

ما حمله على وضع كتابه

لقد ذهب البعض الى أن لا يرى استوحى في تأليف كتابه بمسأله يراع ثبوت است
اليوناني لا سيما وأنه صدره بترجمة كتاب هذا الاخير في الموضوع ذاته
لكننا نرى أن ما أحدا به الى وضع مؤلفه هي حاجات العصر الذي عاش فيه
وذوق أهله فقد كانت الامثال والحكم كثيرة التداول على ألسنة القوم يتابعون
الى استظهارها ويسعون الى الاكثار منها، ففتق لروشنو كول أن ينيلهم مشهاهم فالف
في ذلك كتابا تذوقه الجميع بشغف عظيم

وكان ما يسمونه الصور - أي تصوير العوائد وسرد الاخلاق - كثير الشبوع
وقد تطلبه مقتضى العصر ونظره ثقافة الوقت، فبرز الى عالم الوجود سنة ١٦٥٩
كتاب مقتطفات مدمواز يلقي على صيته وأقبل الناس عليه ايما إقبال
ومن أشد مظاهر الذوق في تلك الأيام السعي الى ادراك الحقيقة الخالصة من
كل شائبة فكانت الحكم والامثال غاية أهلها وتصوير العوائد ووصف الاخلاق
مطلبهم يسعون الى ادراك بكل ما أوتوا من ذلاقة لسان وفصاحة بيان وبلاغة
أسلوب لانهم كانوا يرون في الصور والحكم جلا للحقيقة واظهاراً لما فيها قبحو
فيها كما هي ناصعة يضاه دون أن يحجبها زخرف أو يخفيها طلاء، ومن غير أن
يكون للخيال الروائي والشعري أدنى دخل في تشويه معالمها اذ بروزها جليلة
واضحة دون سقرو لاسدل يقترب الفن اللغوي بقدر الامكان من التعبيرات العلية

تعمقه الفكري

لكل امرئ مهما سمت مكانه الادبية حسنة تذكر فتشكر وسيئات تمرد
فتبتذل لان العقل البشري مهما أولى من سعة الادراك ليس في وسعه أن ينتج عملا
كاملا فالنقص صفة ملازمة لطبيعتنا البشرية فاذا ما أبدينا مواطن الضعف
في لا يرى لا توخي النيل من حقه ونمطه فضله ولا افتقاد الكتاب قيمته . فانما

نفس الى تحليل نفسية الكاتب وتخصيص مقدراته الفنية واظهار ما اطلوى عليه من
قوة أو ومن

يألف كتاب ، الاخلاق ، من حكم وأمثال وصور للاخلاق والعادات . فقد
حذا فيه حذو لاروشفوكول . لكنه استخلص الصور والصفات واكتب شكلها
النفسية وقيمتها الفلسفية ويرى في ذلك تجسراً لم يره فيه أحد . لكنه لم يسم في الحكم
صمو لاروشفوكول بل لبث من الوجهة التفكيرية العامة في مستوى أدنى من مستوى
غيره ، من خاص وموضوعه أو ما يشابهه . ففدقة باسكال وعمق أفكاره وعمقها في صميم
النفس لاظهار بواطنها وكشف غوامضها لان لا يرى . لم يكن ذا قوة تحليلية عظيمة
ولا ذا مقدره نفسية تمكنه من التغلغل في أعمق القلب البشري . ولم ينصف بحيرة
ذاتية يتربأ له بواسطة النسل الى الفراز والطام بل جعل ما اناز به صفات ليست
فظة لكنها فوق المستوى العموم . عصية من كبر زلل . لكنها لم تؤهل به
عظيم اكتشاف

ولا يجب أن يؤخذ الإنسان بفعله الأخير الخوف من مجموعة آراء وأفكار
رافية فلسفية مستمدة من آراء الألاطون وباسكال وديكارت ، ومحاولة بايها م كلى
ل معان روحية للديانة المسيحية . فهذا الباب مع ما فيه من صحة الرأي وصدق
بيان ، عديم الشخصية لا يقوم بنفسه ولا يمت الى المؤلف سوى بالتحوير والتبديل .
أما هو الا انعكاس لا أفكار الغير وظل لأرائهم .

وكان لا يرى نظرياً تأثير عيانه فتخط أنامله . فكما فرغت عوامل الملاحظة
من تناول اليد ، وبدأت لتنظر الجرد ظاهرة جليلة سهل له رؤيتها وتناولها . لانها
بعد عن الخيال الفكري والتصور النفسي الذين يعوزانه . فقد كان ينظر فيخط
يحركة نظره ويرى فيعبر عما يراه . فهو والحالة هذه أشبه برسام ينقل بريشته
نصيره عيانه من الأشياء الحسية . لا ما تتصوره عقله من الامور المعنوية .
فهو شغوف بالحياة ومظاهرها . يفيض لشواذها وعميقها . يجتهد في استخلاص
أندما العمومية الجليلة واستظهار أخلاقها البادية دون تطلع الى المسترة منها أو
أنجتها عنها . فله الظواهر لا البواطن . وما يدور لا المضمر منه . ولنا أجد في

تصوير انسان القرن السابع عشر الذي عاش فيه وعجز عن التعبير عن الانسان في كل آن ومكان

فهذا القص في التعمق الفلسفي وطبع الفنان الذي تستهويه الاشكال وتنسجه الظواهر الحية ، قد حولا حقائق كبار المؤلفين المدرسين الى حقائق تصويرية أشبه بالخيال منها بأمور راقية

الروح السائدة في الكتاب

لقد اتفقه لايرير اخلاق اهل عصره بلواذع الخجل ، وقوارص الكلام ، وأبدي لهم تأذيه من عوائدهم التي لم ير فيها حسنة . لأنها شبدت على اسس النقائص والذائل ، وراقت على دعم الانانية وحب الذات . فرب الشرف تشرى لتخط ذريعة لعدم دفع الضرائب . وللمين صرف عن براءه وتحولت اجتهاداته الى مناظر وحفلات . والأسر تفككت عرى الصلاة بينها . واتخذ الزواج وسيلة لكسب . فضجت القبيات على مدح الاعراض البائنة والخيلاء الاجتماعية . وجهر عليهم في الاديرة دون ارادتهم وجراً لمفهم . والمدينة عرجاء سقيمة لا ترفع ضياء . كثيرة الكافة طويطة المدي . والانسان بين هذه المصاري . يطلق الفنان لميله مجتنباً الحقائق متبعاً الترهات لانها بالسفاف لا يرى الحق الا في جانب فعله واعماله . ولا بأن الجلائل الا بانانية تشوه عمارتها وتقل من قيمتها . وهو يقيد ارادته (بالمودة) ويقضي اثرها خائفا ذليلاً في كل ما يأنبه سوا اكان في عوائده أم في طرق معيشته

وبالاجمال كان لايرير نائراً على النظم الاجتماعية متعرباً على سير الانسانية غاض على العوائد حاقاً على الاخلاق . لا يرى فيها حوله غير اكاذيب ومفكرات . وترها . ومنكرات لحمل على هذه النقائص وايداءها للعبان بشكها المزري ومنظرها المعقوت فاستغلها فلاسفة القرن الثامن عشر ، واتخذوها سلاحاً لتقويض دعائم الحكم القدي الذي سمح بهذه المزريات . فكان لايرير والحالة هذه ، فيلسوفا بالمعنى الذي اطلقه قولير وديدرو على هذه الكلمة

قبوب الكتاب

لايسعنا ونحن نبدى غث كتاب وثمينه . الا أن نظهر اسفنا بمنازاة في كتابنا العاص

ولا سيما كتاب جرائدنا، من النقص الذي يذهب بمحاسن كتاباتهم مما سمحت بلاغة وعلمت موضوعاً فجعلهم ان لم يكن كلهم لا يحسنون ترتيب افكارهم وتبويب ما يخطونه، فتبدو فئات اقلامهم مضطربة مشوشة، متداخلة بعضها ببعض فيقرأ المرء في آخرها ما سبق ان اطلع عليه في اولها ويرى في وسطها ما مر به في مستهلها فيخرج منها بلبل الفكر، لم يعلق في ذهنه منها شيء.

اما اذا اعتوا بترتيب ما يكتبون وتبويه بقربه من ذهن القارىء وارسخه في ذاكرته، فينتهى من القراءة وقد ثبت في مخيلته ما طالعه دون ان يجهد نفسه في حفظه أو يتعب ذاته في استظهاره.

وقد وقع لا برير في هذا الخطأ نفسه فاهمل ترتيب كتابه وتبويه فبدا نقصه ظاهراً جلياً فسره محاسنه واقصده جزءاً كبيراً من قيمته. لان الكتاب لم يكن الا مذكرات مأخوذة من الحقائق. فكان المؤلف ينقل ما يراه امامه من مظاهر الانسان المتنوعة دون ان يعمل الفكر لاستخراج دلائل النص وخوارج القواد. ولما اتم مؤلفه جمع ما دونه وقسمه الى فصول كل كل واحد منها بعنوان وجعل من مجموعها كتاباً.

لا تنكر ان ثم بعض الترتيب هناك مقدمة بين فيها لا برير عقيدته الادبية، تليها ابواب الكتاب كلها وصفاً وبياناً لمختلف درجات الهيئة الاجتماعية، اولها فئات الاقلام تليها الكفاية الشخصية. ويأتى بعدها العالم اجمع محلاً تحليلياً دقيقاً بعوامله المهمة ومشاغله، قباب في النساء، وآخر في قلب الانسان وما يحيش فيه من العواطف المتباينة، والاهواء المتضاربة والمخادعة وما تستوجه. ثم طبقات الاجتماع من رجال المال والاعمال الى طبقات الاشراف. وبعدها النبوة ووزراء المملكة والمملك. وفصلان في الانسان على وجه العموم، والحكم على الظواهر (والمودة) وتحليل بعض العادات والنمير والادعية. غير اننا لا نجد في الكتاب تضامناً في ابوابه، ولا ارتباطاً بين فصوله، ولا تسلسلاً في موضوعه. ناهيك باب، الحاكم، الموضوع في وسطه فانه يؤلف ثوباً بارزاً لا يتفق مع مضمونه لمخالفته له مبنى ومعنى. ولا يصح ان يكون خاتمة ترناح اليها النفس، وتسكن عندها خواطر القارىء.

مميزات لا برير

لقد ابدنا مواطن الضعف في لا برير من الوجهة البسيكولوجية، واظهرنا ما معنى

به من قلة التعمق الفكري . ولا بد لنا لاتمام بحثنا من ابرائه حقه بإبراز مقدوره وكفاءته
وما تجلى به من الصفات التي أهلته لوضع كتابه :

فلئن خفى عنه ما يعيش في النفس من عواطف وزعاجات لأنها مستترة فعينه التقادة
لم تنفها رؤية المظاهر الخارجية المنعكسة عنها . فبما تجلى عبقرية التي لا يدانيه فيها
أحد فقد وصل بماله من دقة الملاحظة وقوة الشعور الحسي الى تصوير الانسان المائل
امام أعيننا بحيث يتجلى لنا منه الانسان الخفي الذي لا يدركه بصرة ولا تصل اليه
انظارنا فلم تفته في ذلك ملاحظة مهما دقت وصغرت . فقد أبدى كل شيء فيه بطريقة
الطيفة رقيقة تستميل القلوب وتستهي الاقدسة ، فأتقده حديث الانسان ولحنه وحركاته
وسكناته وسيره ومشيه وعوائده وطباعه وفعاله واعماله حتى ما يعترى وجهه من
تقلصات عصبية وما تخطه عليه يد الزمن من خضون وثنايا .

أبدى كل هذا بوسائل حية أكثر منها معنوية حتى أنها لترسخ في الذهن دون
اجهاد فكر ولا اكداد عقل فلم يجد عندما أراد اظهار السرور الذي يخالج قلب المحسن
عن البر الذي يأتيه سوى تقابل النظيرين ، نظر فاعل الخير ونظر المحسن اليه ، اللذين
يتخاطبان دون ان يستندا معونة الالسن ومساعدة الشفاه . فقد قال : « ما أشد غبطة
المسدي معروفاً وأكثر حبه ، عندما يقع نظره على نظر المسدي اليه . »

وقد اراد في موضع آخر تصوير شاعة الاغتياب ، وأبداه فطاعة هذا الفعل .
لا سيما وان أكثر الناس ينهون عما يفعله غيرهم ويقعون فيما غلبه على سواهم . فلم يجد
غير عجوز متبرجة واقفة أمام المرأة ترجح حاجبيها وتكحل عينيها وتحمر خديها وتضع
على عيها نقط الحسن بينما هي تعيب على مثيلاتها وعلى غيرهن هذا الصنيع

فلو عمد لا يربير الى فصاحة التعبير وسحر البيان وآتى بالمعجز الموجز من الكلم
أكان بوسعنا ان يظهر لنا دمامة الاغتياب وقبح التعرض لاهمال الغير بصورة أكثر
حياتية بشكل أشد وضوحاً وأكثر تقريباً للذهن من هذا الشكل ؟

نظن بل تؤكد ان كل وصف مهما سما وعلا يقف حاسراً كليلاً امام هذا التعبير
الحسي حتى اننا عند ما قرأناه ظلمنا برهة نستمعه في ذهنا ونستفوقه في عقلنا ، مرددين
مثلاً العربي القائل : « رب اشارة ابلغ من عبارة . »

لقد صور لا يرى أشخاصه بالوان تزهو كلها طال عليها القدم حتي ان الواحد منهم يبدو امام القاري كأنه حي يأتي أفعاله ويقوم بأفعاله . وهذه ناحية من نواحي نبوة لانا نقرأ كتابه فيخيل اليه اننا ازاما نراه من قوة التعبير ودقة النظر وبعد الملاحظة الذي يأخذ علينا مشاعرنا ويستأثر بافتدنا ان المؤلف لم يتفل عن أشخاص ما يبدو من مظاهرهم الخارجية بل تطن الى عواطفهم فاستخرج دقائقها . وساخ في أعماق النفس البشرية قاضي مكوناتها

ونرى أن تأتي بمختارات من كتابه (الاخلاق) ليلم القاري بفنائه كما ألم بصفاته ويميزاته قال في باب القلب : الغبطة والحسد نقيضان ، لكنهما يئازلان خصما واحدا وهو أهلية الغير واستحقاقهم الشخصى . أو ماني أيديهم من منافع الدنيا بالاول عاطفة لاختيارية شريفة ، صادرة عن خلوص نية وصفاء طرية ، تجعل النفس فرحة خصبة بما تقدمه لها من مثال تقضى به وتنتج على منواله فتسربها في سماء تجعلها أعلى وارفع من الشيء الذي تغبطه

والثاني حركة عيفة ، شبه باقرار الجبارى بأهلية وكفاة بعيدين عن نفس الحامد فتذهب به الى تكرار الغيبة التي يهزته ، حتى اذا لم يجد بها من التوبة بها ، جردها من كل استحقاق ممكنا عنها المديح والثناء الواجبين لها

وقال في باب الادعياء : ولد الانسان ميانا كذابا ، وهبطت الحقيقة من السماء بيهاها وكافها طاهرة نقية ، فلم تعرف به لاختلافها عنه مبدأ ومرمى فهو نزوع الى زخرف القول مهما بعد عن الحق ، وهي توافقه الى الصديق في الجوهر مهما آذت المبادأة بصفة الواقع ، والمرء اناني بالذات لا يحب إلا صنع يديه فهو ميل الى كل فرقة ، معجب بكل كذب ، اذا حدث لفق ، واذا قص امن في المين ، واذا سرد واقعة حال اسرف في الزيادة ، فحياته الاجتماعية ، وصلاته الانسانية ومعاملته المدنية رياء وفاق ومين واختلاق

تجرى حادثة بسعنا وبصرنا ، فيقصها اناس عديدون شاهديها بأمر عيونهم فلا يتفق اثنان في الامام بمرضاها لا بجرورها ، فاذا كان هذا شأنها فيها تجري بين ظهرائنا فاذا يكون أمرنا في الحوادث التاريخية التي جرت في السنين الخوالي فتهللق بروايتها

وهل تعتقد بصحة كتب التاريخ التي دونها بشر مثلكا لهم نزعات مثل نزعاتنا واثابتنا
مثل اثابتنا ، وميل طبيعي الى الاغراق والمبالغة ، ومسح الحقائق وتشويه ما جرى من
الاحوال ؟

وقال في باب الخاتم والجمهوريّة : يجب على السياسي التقدير ، الذي يعالج أمور
الدولة ان يكون شديد النسلط على عواطفه ، جامعاً لما يحش في نفسه كثر ما لذات
صدره لا يتم ظاهره عما يخفيه باطنه ، فيكون والحالة هذه كاللاعب الماهر الذي
لا ينجم وجهه اذا خسر ، ولا تهش اساريره اذا كسب لكي لا ترسم دخائله على صفحة
حياء ، فيحزرنه ما يضر قزاده ، فيستغله لنفسه ، ويحزرن الغلبة عليه

ويجب أن يكون عليا بطرق المنازاة ، فيعد نظر من يساجله عما تهم به نفسه ،
مبدئاً بعدم اكترات بما يخيه ويصر اليه ، ومقبلاً بكليته على ما يرغب عنه ؛ فلا
يروم عنه بدئلاً ، حتى اذا انس خصمه منه ميلاً الى أمر تنم عن انالكه اياه ، عارضا
عليه ما طالما رنا هو اليه في قلبه ، فيقول بخناه على اهلون سبيل

وعليه ان ينحزز جهد طاقته من اثثرة ، التي قد تسوق صاحبها في اكثر الاحيان
الى الزلق ، فيزل لسانه بما يريد ان يضره جنانه ، فيوء بخياله الى ، وفشل الاماني

ولا نريد بذلك ان يكون عيا فيسك عن الكلام رهبة وخشية ، بل نروم منه
اذا شام في ذاته ضعفا ، ازاء من ينازله ، ان يحجم عن الاسترسال ، ويلزم السكينة في
هية ووقار ، مظهرا بكونه مقدرة على مقارعة من يساميه ، فيقن هذا بانه تجاه
امري ، يزن كلامه ، ولا يلقه على عواهنه . فيستشعر منه رهبة قد تجعله على التراخي
في أموره ، وعدم الاستمسك بما آتى ليتاخذ عنه

وأما اذا كان منازله أخرق أرعن ، حمل سكوته على محمل الهي والضعف فتسلى به
جوانحه كبرا وتنتفخ اوداجه زهوا ، فيتسط في حديثه ، حتى اذا استفرغ ما عنده ،
عرف هو ما يريد معرفته من قرائن اقواله فيرد عليه بما يدحض حججه ، ويفند براهينه .
وقال في باب المحادثة : اذا ضحكك مجلس بفروح المحادثة ينطلب ان لا تنأثر
بالحديث مهما أوتيت من زلافة لسان وصاحه يان ، بل تترك الوقت لغيرك ليسوا
آراءهم ويعبروا عما في نفوسهم لان من يخرج من حديثك منشرح الصدر قري العين

بما أبداه من مقدرة كلامية وكفاءة خطاية، يغادرك وفي نفسه منك مثل ما به من
ذاته. لأن الإنسان لا يحب الإعجاب بالغير قدر ما يحب أن يعجب الغير به ويفضل
أن يستعذب حديثه وتستدأق نغمة روحه على أن يعلم منك ويأخذ عنك ولذا فإن
اللغة اللطيفة التي تسمر بالنفس، هي في جلب السرور للغير وادخال الهناء إلى قلوبهم
دون أن يشعروا بجنة منان أو بفضل مسد

هذا غيض من فيض من هذا الكتاب القيم الذي لو نقل إلى العربية لكان جليل

الفائدة عظيم النفع

وبما حبذا لو عيّنت به وزارة المعارف وكلفت بترجمته كاتبا قديرا سلس العبارة
رشيق الأسلوب، وقررت تدريبه في مدارسها قانها تفيد الناشئة افادة عظيمة
نصف جورجى نيقولاوس
مصر



اطلب من دار العصور للطبع والنشر
ومن جميع المكاتب المعروفة

ماتخ الفكر العربى

فى نسوة وظهوره بالترجمة والنقل عن الحضارة اليونانية

قطرات الندى

حبى

وحبٌ نُجِّلَ في سماءِ قداسةٍ كوحى — من الرحمنِ يبعثُ فينا
يباركُ قلبينا ، ينقى شعورنا وفي كل أوقات الصفاءِ يوافقنا

ويُلقي علينا من على صحائه مزاميرَ تسمو في الغمامِ كقرآنٍ
فنهفظها ظهراً لقلبٍ كأنها مواعيدنا لا تستظلُ بفسيانٍ

وتفعمرنا في ساعةِ الحلمِ لندةٍ كما يضر الأبركانُ بدرُ تمامِ
نظلُّ بها سكرى كأن شعورنا مفارقنا ، أو أننا جدُّ نوامِ

تشاركني حسناً الحبَّ مثلاً تشارك رُوحَ المرءِ إحساسه العالى
فتسمو به نحو السماء ، وإننا لنسود الى أفقٍ يفيضُ بآمالِ

كذلك تُعلمني الجمالَ قصيدةً يجلُّ بها شعري كاجلالِ (إحسانِ)
تفيضُ بمعنى تلو معنى كأنه تبسمُ غدير ، أو لحاظُ حسانِ

وما الشعرُ إلا ما يفيضُ شعورنا به خالياً من كل قيْدٍ وأغلالِ

وما الشعرُ إلا ما يُضيءُ قلوبنا وبغلاها في اليأس نورَ جمالِ

وتقطف لي من حسنها كلَّ زهرة تفوح عبيراً يفتقُ الكَمَّ عن زهرِ
وتسحرني من قَمَرِ الفاظها التي تفيضُ موسيقىً ليس توجد في الشعرِ

وتألني عن كلِّ ما تلتقي به كأني خبيرٌ بالوجودِ عليمٌ
ولكنني مُستلهمٌ من جمالها فألني جوابي فهو بعدُ حكيمٌ

فيا ذكريات الحبِّ إن طال بيضا وماذا تغلُّ المهداةُ جِدَّ جديدِ
ولا تحسبين آليتي ينزعُ — والذي يُميتُ ويحيي — ما تحتهُ عهودي

وإني برغم اليأسِ بمحملة إلى فتؤادي حديث القوم عن هدمِ آمالي
سأبقى على ما كنتُ في الحبِّ مخلصاً وإن كنتُ تنسين العهودَ بآمالِ

خيبتي غرامي كالجمالِ مسطراً على وجه حسنة استطال بها العمرُ
تحاول أيدي الدهرِ محوَ سطوره ولكنها ترتد لا ينمحي السطرُ

حسن كاريمل القيرفي

التربية

(في النظريات الحديثة)

وهي خطبة ألقاها على رهناء من اساتذة المدارس في بغداد الأستاذ عبد الله بك الحاج معاون رئيس الديوان الملكي ببلاط بغداد والمحاضر في جامعة آل البيت في العاصمة العراقية في علي البسيكو لوجيا واليد غوجيا وخرج جامعة كولومبيا في نيويورك

اقتدت على هذا الموضوع والبحث فيه، لا اعتقاداً مني بسهولة وقلة أهميته، ولا مغالاة في اقتداري على معالجته معالجة تامة، بل تقديرًا لما له من الخطورة في تكوين الاسم ومعالجة المشاكل الاجتماعية، وما له من التأثير في تكيف التمدن البشري، وستلاحظون في أثناء البحث جهات الحياة المتعددة، التي يتناولها هذا الموضوع، والتي يحتاج كل منها قائماً بذاته، إلى بحث مستقل.

فمراجعة لهذه الحالة نويت أن أعرض عليكم بصورة موجزة نظرية جديدة في التربية وصورة عملية التربية بشكل يربكم حصوها ويربكم تداخل العوامل والقوى التي تؤثر في حفل التربية، ويبيان عام موجز عن حالة التربية في هذا القطر، فإذا نجحت فذلك خاتمة، وإذا فشلت، فسوف لا يكون ذلك أول وآخر اختباراتي في الحياة. فقد فشلت كثيراً قبل الآن وكثيراً ما سأفضل من بعد ذلك.

أما الطريقة التي اتبعتها في معالجة الموضوع فهي شرح وتفصيل ما اختبرته في حياتي في البيت كولد وفي المدرسة كطالب ومعلم، وخارج المدرسة كشاب ورجل في ميادين الحياة الأخرى، وما بقي في نفسي من أثر لهذه الاختبارات وما علق بذهني من أفكار وآراء لعلى في المدارس والكتاب والمؤلفين في الكتب، وما وصلت إليه حتى الآن من نتيجة في حياتي، وما أهتم به من الأمور لطائفة سيرى في الحياة على أساس التربية والنمو والتشبع الدائم في هذه السبيل. غير أنني لا ادعي ألبنة العصمة في قولي وآرائي كما وانني لا اضع المسؤولية على أحد فيما سأقوم ببيانه لكم. بل أرجو منكم أن تعدوني المسئول عن علي الآن ان كان ذلك صواباً أو خطأ، وإذا لم يرق لكم قولي فلا تنقيدوا به وقولوا رجلاً قال.

التربية معناها التنمية والتقوية والاحياء ، و من معانيها أيضا التثذيب والتشذيب وهذا يتضمن الاضغاق والامانة والاتلاف

ثلاثة رجال في العراق الواحد يربي نوعا من الخنطة لسوق لندن والثاني يربي نوعا من الخيل لسياقات الهند ، والثالث يربي مجموعة من الاولاد لخدمة الوطن . ان كلام من هؤلاء الرجال الثلاثة هو مرب و بحاجه مسائل تربوية متشابهة من حيث الاساس ؛ ومنبأية من حيث الغاية . فالاول منها ان تعين الطلب على صفات معينة في الخنطة والخيل والرجال ، الاولى لسوق لندن ، والثانية لسياقات الهند . والاخرون لخدمة العراق ، ويعتمد على كل من اولئك المربين الثلاثة وضع منافع معينة لحياة هذه المواد وتربيتها ، من شأنها ان تخلص الى درجة قصوى انتاج تلك الصفات المطلوبة . ومنها ان كلامهم عليه ان يسير في مباشرة عمله على طريقة ، و بموجب اصول ومبادئ تربوية واحدة متكررة في اعمال كل واحد منهم . ومنها انه بالرغم من وضع المنافع وانتاج الاصول فكثيرا ما ترى المربين يفشلون في انتاج الشيء المطلوب . ان معالجة هذه النقط الثلاث اى وضع المنهج والسير بموجب اصول معينة والفشل في انتاج الصفات المطلوبة ، تتواف قسماهما من موضوع التربية

اما الثانية ، أي التباين من حيث الغاية في تربية النبات والحيوان من جهة ، وتربية الانسان من جهة اخرى ، فهي انا نربي الاولين كواسطة لخدمات المجتمع من دون أن يكون لنا من تربيتهم غاية سوى ذلك بينما نحن مع انا نربي الانسان للقيام بخدمات المجتمع . والانسان لا يخرق من هذه الجهة عن النبات والحيوان . فأنا فوق ذلك نرهب لغايات أخرى كانت منذ القديم مدار بحث الفلاسفة والمفكرين والانياء ورجال السياسة والتشريع وقادة الامم وإهتمامهم ، حتى ان الانبياء والفلاسفة هبوا الى تحليل هذه الحقيقة وما بعد الموت للبحث والتفكير في معالجة هذه الغايات وتعيينها ، وعلى أسس فلسفة هذه المباحث قامت المذنبات الغابرة والحاضرة ، اذ ان التحديق في رأي هر اجتهاد في الجواب عن ماهية الحياة وغايتها وكيفية العمل في سبيلها هذه . وهذا بذاته يعنى التربية بمعناها الواسع . لقد كانت التربية الى اليوم واسطة لتحقيق غايات مقرررة في الحياة . اما الآن فأنا نرى اتجاها جديدا في تفسير معنى التربية والحياة وغايتها ، اصبحت التربية في رأى البعض من فلاسفة هذا العصر غاية بذاتها ، لا واسطة

لغايات أخرى خارجية ، وإنما والحياة شيء واحد لا يمكن الفصل بينها . وهذا التطور منشؤه الانقلاب الفكري الحديث في بعض اتجاهات التفكير إلى منها (أولا) التحول من الاعتقاد بأن الحياة غايتها في بد قوة خارجية عن هذا الكون حكيمة مديرة تشرف على أعمال البشر ، إلى الاعتقاد بأن الحياة غايتها في ذاتها ليس إلا (وثانيا) الانقلاب من أن مصدر الحكمة هو الروح والتصور إلى أنه الملاحظة والاستقراء والاختيار (ثالثا) الانتقال من الاعتقاد بأن الخير والشرازيلان في الأشياء وفي الحياة ، إلى أن الأشياء تصلح وتفسد بالاستعمال ، وأن الحياة تحسن وتفسد بالوسائل .

إن البحث في فلسفة النظرية الجديدة التي تطور حول علاقة النظرية بالحياة وغايتها وما يترتب عليها من الانقلابات في الحياة الاجتماعية كافة دقيق جدا ، يؤلف اليوم أعظم مشكلة في ميدان النظرية . وضيق المقام يضطرنني إلى التخلي عن الإفاضة في نقطه المتعددة وقدما . غير أنه يجدر بي أن أسترخص أمامكم بعض القضايا الرئيسية في هذا المضمار ، يقال : أولا -

إن سوء فهم الحياة أدى إلى سوء فهم النظرية ، وعلى ذلك ساءت الحياة وفقدت المدنيات الغاية وانقرضت

٢- أن ما وصل اليه من المؤسسات الاجتماعية عن طريق الوراثة معظمه مبني على سوء فهم الحياة ونتيجة ذلك سوء النظرية وإن تمدنا الحاضر لاحتجنا بسبب ذلك ٣- أن طريق الخلاص من النتائج السيئة التي تعتمدها علينا مدنيتنا الحاضرة هو حسن النظرية ضمن حدود الاعتبار والعمل بموجبها - بأن الإنسان قبل كل شيء وفوق كل شيء مقدس لا يجوز التصرف فيه كما تصرف في الحيوان والنبات ، أو وضع قيمة استهبارية لحياته وتربيته اللتين هما غاية واحدة متلازمة تخضع لها كافة الغايات والاعتبارات الأخرى على إطلاق القول .

إن الطبيعة بذاتها لا تعقل ، وليس لها أي نظام أدبي أو غاية معنوية بل هي فوضى . وإن كل ما نستطيع عمله هو أن نكتشف طرق عملها ونتابع تأثيرها ، ونقتبس منها ذلك ونسخر ما ظهر لنا منها وحلم لدينا ، لاكتشاف وتسخير ما لم يظهر بعد وما هو مجهول . أما النظم والغايات فهي من عملنا ووضعنا .

هذه بعض القضايا الرئيسة في بحث التربية اليوم، وإن نظرة واحدة إلى مؤسسات الاجتماعية التي نعيش في ظلها، تكفي لإقناعنا بحقيقة وجود هذه القضايا وإن الفساد المتشبع به نظم هذه المؤسسات، ومآلها من المآل في سبب ذلك في سبيل الحصول على الشيء اليسير من الراحة، يحملنا على الميل إلى الاعتقاد بصحة تلك الدعاوى

إن المدنية الحاضرة تعادت إلى جذعها في الأساء فإلى الغاية من حياة الإنسان وتربيته، وأيقنوا بأن مآلها نحن من قياد الحياة والتربية من هذه الجهة في هذه البلاد، يشار كنا فيه كافة البشر في البلاد الأخرى، ولا يفرسكم تباين الأشكال والصور، فاليكم المؤسسات التي تستعيد الإنسان وتستغله كالحوان وتندفع عن هذا الاستعباد والاستغلال بالدعايات المتنوعة وبالسلاح، واليكم الأخبار التي تنقلها إلينا الصحف عما يجري يوميا على هذه الأرض من المزاولة والسياس والغلو في تعزيز كيانات المؤسسات المهلكة المدمرة أكثر من تعزيزها المؤسسات التي من شأنها التأمين على حياة الإنسان وضمان نموها، وهاكم التشكيلات العالمية الحاضرة التي مستند إلى فلسفة فاسدة في تفسير التاريخ، دفاعاً عن تلك المؤسسات وعلى فلسفة عليية مغلوبة في تفسير النجوم والأشياء، تبرير تلك السياس والغلو، واليكم الاعتقاد بصحة وقدسية التقاليد الموروثة في الدين والدولة والاعتقاد ببقاء الأنسب، للذين يحملون بذور الفساد والشر في هذه المدنية التي لا يسيل فيها على أحد مطلقاً تعيين أي التقاليد أصح، أو تعيين من هو الأنسب بعد التسليم بقدسية تلك الاعتقادات، هبوا انه حصل خلاف كما هو حاصل على الدوام — على تعيين ذلك، فكيف نحلله يا ترى في هذا العصر؟ وإذا سألنا عما إذا كان في إمكان هذه التقاليد ولهذا الأنسب، قوة يستند إليها غير السلاح والغش في استمرار بقائه، فلماذا يكون الجواب؟

لا شك في أن الحرب العالمية الأخيرة ومآلها من مسائل عالمية، كشفت ستر الرأى الذي كان يغطي بشبح العالم الحاضر بمديته — وأنتم أدري بما كان للتصديق بذلك التيجع من العواقب. هذا ولا تظنوا أن حليمة قد غيرت عاداتها بعد الحرب، فاليكم المؤتمرات الآخذة بالاعتقاد في أوروبا حول تحديد السلاح أو بالحرى تحديد الشر، أو التي بحسب الظاهر، تدل على تطور في أخلاق حليمة، غير أن النتائج لا تقدم لأسباب، ذلك محال إلا في عالم المعجزات، وعلينا أن لا نصدق الدعايات المنظمة لحملنا على الانخداع

يمثل هذه المظاهر قبل أن تأكد من أن مناهج التربية في العالم قد أخذت في الاعتدال والاتجاه نحو الغاية التي تدعى أنها تسعى لتحقيقها . فبالنظر إلى حالة المدينة الحاضرة وأوضاعها وأشكالها ومؤسساتها ، وذلك في السياسة والدين والصناعة والتجارة والزراعة والتشريع والعقائد والتقاليد والآداب والأخلاق وفي الإنتاج والتوزيع والاستهلاك وفي الضرائب ، وبمقتضى رغبة الإنسان في إصلاح شأن المعيشة والحياة في ميادين العمل كافة ، لا يسعنا إلا التسليم بأننا على أساس مناهج التربية المبنية على أن الحياة في الإنسان كما هي مقدسة في الواحد كذلك هي في الآخر مقدسة فوق كل مقدس ، وأن غايتها الاستمرار على النمو المطرد من الحسن إلى الأحسن والأفضل والأغنى وبهيئة الوسائط لتحقيق ذلك نستطيع أن نصلح مؤسساتنا ، ونعدل أوضاعنا ونشيد هنا وعلى هذه الأرض المدنية الطوبى ، التي ستكون مع شيء من التعديل ، كجنة الآخرة أو ملكوت السماوات ، وعليان نطالب القوي بأن يبدأ على هذا الأساس في تربية أمته قبل الضعيف الذي قد سلم بهذه القضية بحكم الضرورة

وبما عيّل البعض إلى الاعتراض على هذا الرأي وينتقده من حيث هو عبارة عن صورة تستند إلى الخيال ، ويقول أن لدينا من المسائل القريبة والمستعجلة ما يتطلب المعالجة والحل اليوم وغداً ، وأننا مقيدون بمناهج في مدارسنا وقوانين في البلاد وأوضاع عالمية قاهرة مهيمنة ، لا غنى لنا عن اتباعها ومراعاتها ، لا فرق بين أن نعتقد بصوابها أو نخطئها ، وربما يقرب اليأس والفتور إلى البعض على اثر إدراكه مهمة الإصلاح العظيمة في التربية التي تدعونا إليها تلك النظرية في الحياة ، غير أنه لم يقتني اعتبار مثل هذا الانتقاد ولم يقصد أن أميل بالقراء إلى ترك المسائل القريبة والمستعجلة ولا نويت أن أوهم ليأسوا ، بل قصدت أن تبينوا هذه النظرية وعلى ضوءها تنظروا في أعمالكم اليومية ، وفي وسائط الحياة التي بأيديكم وإلى الكتب والأخبار التي تطالعونها لا اعتقادي بأن ذلك مما يقرب اليكم فهم التربية ، ويخفف عليكم عبء الحياة ، بأدراك غايتها منكم ، وفي الغير من لهم اتصال بكم ، لا كمدربين ومعلمين لا غير ، بل كأبناء وأخوان وأصدقاء .

عملية التربية

يقول علماء الطبيعة

لا فراغ في الطبيعة . وانا اعتقد ان لا توقف في الحياة ، وان اى عمل كان من أعمال
الانسان ، لا فرق بين ان يكون داخليا في نفسه أو خارجيا في البيئة ، له اثره في حياة
الانسان ، لدى معاناة هذا اياه فيها ، وبعد ذلك . وهذا الاثر في اثناء حدوثه ، ينشأ
مظهرا تربويا في حالة التكوين ، اما بعد التكوين ، فيصبح عاملا تربويا في الاعمال
التالية . هكذا نرى ان التربية تستوعب الحياة ، وهي جارية ما زالت الحياة جارية .
لننظر كل منا في تاريخ حياته ويستقرىء الحوادث التي مرت عليه ، والاختبارات
التي حصلت له منها وليتصور الى العوامل المباشرة وغير المباشرة التربوية والبيئية
التي اثرت في تربيته وصيرته فلاننا مدرسا أو معلما الآن ، وليحكم بعدها في ما إذا كان
في استطاعته حصر تلك الحوادث ، وتعيين أثرها في تربيته وحياته واحصاء تلك العوامل
وحصر نتائجها في تكيف اخلاقه وطباعه واقداره وذكائه الخ . ، فاذا كان في استطاعتنا
ذلك ، ففي استطاعتنا اذن الجواب على عملية التربية وكيفية حصولها وبذلك نجيب على
أعظم سؤال في التربية والحياة معا .

هذا واذا كانت من الصعب علينا استقراء تاريخ حياتنا للجواب على كيفية
تربيتنا ، فأطلب اليكم ان تفكروا في كيفية تربي الآن ولنجرب طريقا سهلا
ليحل الآن كل منكم وعيه من قيد الانتباه إلى البحث الذي نحن بصدده ، ولنترك ذاته
على سجيتها لحظة من الزمن ، ننصرف إلى حيث نشاء من التفكير والاهتمام ، ثم عودوا
وافكروا بما جال في رؤوسكم من الأفكار ، وإلى اين اتجه همكم ، واسألوا همكم ماذا
فكرتم واهتمتم ببعض الأمور دون سواها . فاذا يكون الجواب ؟ ان الأمور التي
تشغل أفكارنا واهتمامنا الآن قبل غيرها ، تعمل في تربيتنا الآن أكثر من غيرها . كذلك
الاعمال التي سنقوم بها بعد ساعة وبعد يوم ، ستعمل في تربيتنا أيضا . فأعمالنا اليومية
والنتائج التي نحصل عليها نتيجة التفكير والاهتمام والعمل ، هي عوامل التربية .
فمحدد معنى التربية اذن هو أنها نتيجة (كيفية) الحياة التي يختبرها الانسان من لحظة
إلى لحظة على الدوام وبلا انقطاع .

إذا سئل أحدكم أهو ابن امة أم ابن أمة ، فالجواب العلمي يكون انه ابن الاثنين ،
وان جميع مبادئ من الصفات الموروثة هي نتيجة لعملية زواج والديه . كذلك ماهية
شخص ما من حيث الذكاء والعلم والاخلاق ، الخ هي نتيجة عملية اختيار هذا الشخص

شؤون الحياة التي عاناها منذ ولد في هذه الدنيا ، وربما من قبل ذلك ، الى أن يموت .
هكذا نجد أن حدود التربية هي من حيث الزمن مدة الحياة على سطح الارض ومن
حيث الكيان هي الانسان وكل ما يتصل به بالاختيار . ونرى أن عواملها لا تنحصر
في المعلم ولا في المدرسة ، بل أنها كائنة في كل مكان يتصل به الانسان وموجودة في كل
شيء مدني يستخدمه البشر في حياتهم المدنية من وسائل مادية كالسيارات مثلا ، أو أمور
معنوية كالاعتقاد بالله . كذلك هي حاصلة في حياة الانسان على الدوام وأمرها واقع
لا محالة ، شئنا أم لم نشأ ولا فرق بين أن نهتم بها ونسقط على عواملها ونحسن شأنها ، وبين تركها
للوقضي ، ونسيء فهمها ونفسدها وبذلك نفسد الحياة ونجعلها عبئا ثقيلا علينا ففقد التربية الحياة
التربية في العراق

أن تجارب البشر هنا وهناك ، واختباراتهم ، أثبتت أن للمدرسة اثر اقوياجدا في
المجتمع والآراء الحديثة في التربية والسياسة والاجتماع ، على أن المدرسة تكون افضل
واسطة لتربية الامة . غير أن هذا البيان يعني ايضا ان المدرسة تكون افضل واسطة لسوء
سوء التربية وفساد المجتمع . والاختلاف كبير في النظريات حول كيفية تأسيس
المدارس ودور التربية ما بين رجال التربية أنفسهم من جهة ، وما بين هؤلاء وبين رجال
السلطة في الحكومة والدين والصناعة والتجارة وغير ذلك من المؤسسات الاجتماعية
كالكليات والعائلة وغيرهم من جهة ثانية ، والخلاف واسع جدا ومستحكم في الاشكال .
فالبعض يقول بأن المدرسة والمدرس هما مبدأ الاصلاح وعليهما تقع مسئولية ،
والبعض يقول بأن التشريع هو مبدأ ذلك ، وأن رجال السلطة في الحكومة هم
المسؤولون . اما اذا قلنا إن المسئولية تقع على الجميع ، وأن لا فرق بين ان يبدأ من هذه
الجهة أو من تلك ، على ان يبدأ بشرط ان لا يقاوم احد هذين الفريقين الآخر ، بل
يساعده ويعضده ، فيكون قولنا اقرب الى الصواب وادعى للعمل واصح حجة على القعدين
والسقطاتين .

يقال ان الخلاف الاول الذي حصل حول مهمة المدارس وقع ما بين الفيلسوف
العظيم «سقراط» والفيلسوف النيل «افلاطون» لما كان هذا يكتب «جمهوريته» .
قال افلاطون لاستاذة انه اذا أردنا اصلاح المجتمع فعلينا أن نؤسس مجتمعا نتحكم فيه
فلاسفة . فسأله سقراط : من اين تأتي بهم ؟ فأجابته نعلهم . فابتسم سقراط و كان في

استأمنه الجواب الكافي الذي مفاده أننا متى علمنا الإنسان الفلسفة ، نكون بذلك قد قضينا عليه كـ فيلسوف . وهكذا نجد الخلاف في هذا الشأن واقعاً الآن ما بين رجل التربية في الاقطار المختلفة ، كما وأنه واقع في هذا القطر ما بين الرجال المتورلين مسألة تربية الاولاد لخدمة البلاد اذن ، مسألة فيها نظر .

ذكرت في مبدأ البحث أن على المرء أن يسير ضمن منهج يفتضى طريقة وأصول معينة ، وأنه بالرغم من ذلك كثيراً ما يفشل في إنتاج الصفات المطلوبة . فلذاخذ مسألة الفشل قبل البحث في المنهج والأصول ، ونحصر علامتنا في ما يصيب تربية الإنسان منها

لو نظرنا في حالات الفشل التي تحصل عادة ، ليس في ميدان التربية لا غير ، بل في جميع ميادين الحياة الأخرى ، لوجدنا أن هناك عدة عوامل رئيسية أساسها واحد ، وأنه منشأ حالات الفشل كافة . منها إيجاد الأمل فيما بالحصول على شيء في جهة معينة حيث لا مبرر لهذا الأمل ضمن مقصور تلك الجهة ، أي حبا للسحر وتعلقنا بالمعجزات ، ومنها تمردنا المستمر على الطبيعة ، وعدم اعتنائنا بالأمور الراضية ، وسعينا المستمر لوضع قوانين ثابتة لعالم متطور متبدل . ومنها عدم إفراحنا المجال للإنشاء المجبولة ، كي نلعب دورها في النتائج التي نسي لتحقيقها ، أما الأساس فهو الفطرية أو الكبرياء ، التي هي بنت الجهل . فلو اقتصرنا في تربيتنا الاولاد لخدمة الوطن على المقدورات التي هي قيد التحقيق ، وتركنا المكابرة والتبرر على الحقائق ، لضمنا بالفعل خدمة الوطن الى حد بعيد ، ولجنينا الفشل في كثير من الحالات

ان خدمة الوطن ليست بالشيء البعيد عن الاختيار اليومي ، والوطن هو أنهم ومصالحهم في البيت وفي السوق وفي الحقول وفي الوظيفة وفي الطبيعة والجغرافية والفن ، وعلى الجملة في كل ميادين الحياة وشئوننا التي تعانقها يوماً . كذلك هو أجسامكم وعلسكم وأخلاقكم ومهارتكم وثروتكم الى غير ذلك . وخدمة الوطن الوطن هي خدمة ذلك كله ، والمسألة الجوهرية في الموضوع هي كيفية الحصول على تربية الامة لتحقيق تلك الخدمة . غير أنه من المحم علينا تعيين الماه قبل وصف الدواء وإنما فصل الخطاب هو عملية المداواة

لقد أجمعت آراء المفكرين في هذا القطر على أن التربية

القومية التي ورثناها من العصر الغابر ، سببة وعاجزة عن تعهد القيام بشؤون مصالح
الامة حسبما يتطلبه منها الوضع في هذا العصر الحديث. والصحف المحلية وكذلك
الآراء هنا وهناك ، آخذة في التبدل على التصور والعجز في قياما بالشؤون ومعالجة
الأمور . فالاحساس بالنقص موجود ، والتفكير في شأنه موجود ايضا . غير ان
الاحساس بالمرض ومواساة المريض بالكلام والتدب والبكاء ، حتى ولا العلاج ،
ككل ذلك بكاف وحده ويزيادة على ذلك فأن هناك الخطر الأعظم على المريض من التدجيل
ان معالجة المشكلات في هذا العصر قد توصلت الى حد يضمن النجاح للدرجة ما .
وذلك عن طريق توزيع العمل بموجب الاختصاص . فالسلطة المأبولة عن الاصلاح
تدعو لجنة اختصاصية وتعهد اليها بدرس الحالة التي تنوي معالجتها وهذه اللجنة تقوم
بكشف عام عن تلك الحالة وترسمها رسمًا دقيقًا يبين وقائعها ، وتبين كيفية توصلها الى
رسم هذه الوقائع . ثم تدعو لجنة ثانية تعرض عليها ما توصلت اليه اللجنة الاولى فاذا
وافقت ، هذه على صحة عمل تلك ، كان بها والا فبعد الكشف الى أن تقرر صحة الكشف
الى درجة قريبة من الخطأ أو الصواب . ثم بعد هذا تدعو السلطة المسؤولة لجنة اختصاصية
لوصف العلاج فتقوم هذه بشرح اسباب الحالة التي تشغل على وقائع الحال وتصف العلاج
وطريقة المعالجة . ثم تدعو لجنة اختصاصية اخرى وتعرض عليها مقررات اللجنة الاولى
لتدقق في صحة هذه المقررات الى درجة قريبة من الخطأ أو الصواب ، واخيرا تقوم السلطة
بنهية ما يلزم بناء على تلك المساعي ، وتشرع في التطبيق . وكذلك عليها أن تقوم على الدوام
باستشارة تلك اللجان وإطلاعها على عملها ومن الخطأ البالغ المؤدى الى النشل حتما أن
تتصور السلطة أن فوسعا معالجة الاصلاح من غير درس وجمع الحقائق عن وقائع الحال
فلو اتخذنا هذه الطريقة أساسا لفحص طريقة معالجتنا تربية الاولاد لخدمة الوطن ،
فماذا يكون الجواب ؟ أين البيان المدقق الذي يطلعنا على المسائل التي نحتاج الى معالجتها
في تربية الاولاد وما هي هذه المسائل يا ترى ؟ وما هي طرق الحل المنقحة المطلوب
مننا اتباعها ؟

إن تربية الامم لا تقوم باتباع طريقة الاوامر والنواهي ، وطريقة الكيف . كذلك
لا يجوز لاحدنا مطلقا أن يتصور أنه بذاته يستطيع أن يفكر بمجد أن في مقدوره القيام بوضع
منهج لتربية الامة من دون أن يستعين بخبرة من رجال التجار والصناعة والزراعة وباقي

المؤسسات التي تؤلف حياة المجتمع . اني لا انكر أن هناك جهود كثيرة تبذل في معالجة تربية الامة من نواح مختلفة ، لكن هل هذه الجهود ياترى منظمة وموحدة وهل هي مستعدة إلى حاجات البلاد؟ هل لدينا دائرة اختصاصية تكشف لنا عما اذا كان ما توصلت اليه هذه الجهود صحيحا ومفيدا؟ ذلك ما لا يسعى الجواب عنه .

والآن دعونا ننظر إلى ما يخص المعلمين من هذا الموضوع ، ونلقى نظرة على مدارسنا : يقال إن العالم هو المدرسة الكبرى . وأنا اعتقد أن المدرسة هي العالم الصغير النامي والعالم الاختباري للنشء الجديد الذي سيدخل المجتمع شيئا فشيئا وبشترك في شؤونه . ندرجها ، والذي هو في الأخير وريثا في الاعمال التي بأيدينا الآن . فيشترط في المدرسة أن تكون صورة طبيعية للمجتمع الذي تسعى أن تحله محل مجتمعا الحال ، بمعنى أن تكون المدرسة نسخة حقيقية مصغرة للحياة المعدلة بمقتضى تلك الصورة ، حتى اذا ما اختبرها النشء الجديد وتربى عليها ، ثم يخرج إلى العالم الأوسع يكون عندئذ في مقدوره تحسين المجتمع الحال . أما أن تكون المدارس محلا لما يسمونه بالدرل (Drill) (على رتيبة واحدة) ولتدرس النظريات والديابات ، فذلك ادعى للفشل وخيبة الأمل . إن لفظة طالب في اللغة العربية تعني أنه يطالب أو الحياة فيه تطلب وتطلب ، واعتقد أن هذه اللفظة اتضح عبر لمسها في فكرة التربية فالولد في المدرسة طالب والمدرسة والمعلم والمنهج والدائرة تعرض ، وهي وسائط للعرض . فلكل هذه الصورة على الدوام أساسا لتكثيرنا كعالمين ومدرسين ورجال معارف ، لنرى دائما ماذا يطلب الطالب وماذا تعرض عنه في مدارسنا .

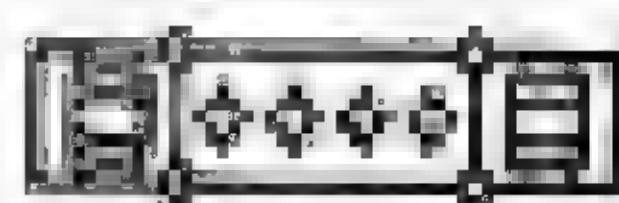
الطالب جسم حي صغير يطلب النمو والريادة في عضله وذائقته وقابليته وفي نفسه ويطلب القوة والافتدار والخلق والمعرفة . ويتطلب فوق كل ذلك المناعة التي تحميه من العدوى من الامراض الاجتماعية التي سيتعرض لها في حياته الكبرى . وأنه من شروط تأسيس دور التربية أن تتوفر فيها الوسائط التي تقوم بما يتطلبه ذلك النمو وتلك القوى ، وبحث هذه الوسائط يؤلف موضوعا واسعا في علم التربية كتبت في شأنه المؤلفات العديدة . غير أني اعتقد بأنه مهما تضاربت الآراء فإن المدرسة لا تصلح للتربية اذ لم تجمع ميادين اللعب والمكتبات والمختبرات و القرائن المشجعة لتقوية الطالبة في الصغار بحرية تامة والمعلمين الذين يشعرون بأنهم واسطة ويرسم الخدمة لطلابهم لا سياداهم

أنا لا أرى مدارسنا الحاضرة تصلح بشرط من الشروط المتقدم ذكرها لتربية الأولاد لل غاية التي تتطلبها الحياة منهم ، وهي بحسب اجتهد الشخص مدعاة للفشل المحقق في تلك الجهة

يأينا الطالب وهو قنر وضعيف في جسمه وعقله و اخلاقه ، فيدخل المدرسة التي عوضا عن ان تسعى قبل كل شيء الى القيام بعملية تنظيفه و تقويته لمقاومة الفساد الاجتماعي المنتشر في خارج المدرسة ، تتركه غلى ما هو عليه من القذارة والضعف ، وتبدأ بالتدريس له وتعليمه على اصول هي بطبيعتها مدعاة للفساد .

يأني الطالب المدرسة مشيعا بالعقائد الفاسدة والافهام جانا غاشيا مستلبا مستصغرا نفسه كذو باغشاشا ، فماذا يعمل به ؟ نزيده تمسكا بعقائد لاحاجة له بها في حياته ندربه ما يستحيل عليه فهمه وادراكه عما يصبح عقبة في سبيل نموه وتعامله بالمدرسة والكبر ، ونطلب منه بعد ذلك أن يكون شجاعا مقداما مفكرا شجاعا . فهل تكون النتيجة غير زيادة في القذارة والضعف

كثيرا ما فكرت في الجهة التي تسير فيها التربية الحاضرة في البلاد فلم أجد لها في المدارس من أثر يبرر الامل بأعداد الرجال لخدمة الوطن . وإنما وجدت ان مدارسنا وبالا لاسف واسطة للحفاظة على الاوضاع الحاضرة أكثر من اصلاحها . وطلابنا عموما يعيشون فيها حياة غير طبيعية ولا هادئة ، بل انهم يعيشون حياة هياج وحاسة قلبية على الفيتليزم ، والفوضى . واصلاح التربية في البلاد لا يبدأ الا بالقضاء على زعة الفوضى وقطع دابر الفيتليزم ، وادخال الفلسفة الانحائية بتأسيس فكرة يؤمن بها كل طالب وينشأ عليها محصلها أن حياته كفرد معني واسع ، وان حياته في المجتمع معني أوسع .



الادب القصصى المصرى

(غناسي منصور كتاب مختار القصص للأستاذ الكبير كامل كيلانى — طبعته دار)
(العصور ونشرته مكتبة الوفاء)

(١)

سنظل نشكو قلة القصص فى الأدب المصرى مع وفرة ما نشره الصحف وتخرجه المطابع وسنظل نشكو هذه القلة أبداً حتى نخلص منها إلى شكوى النخبة القصصية يوم تحتاج القصص كل فنون الأدب المصرى وتسد علينا كل منافذه. وفى الحق إن فن القصص المصرى قد أخرج لنا إلى الآن عدداً لا بأس به من الأقاصيص المصرية المؤلفة ولو أن الروح القومية روعيت فيها كلها لأصبح صرح هذا الأدب الجديد فى مصر منين الأساس ولكن الواقع أننا متأثرون — حتى فى أدبنا القومى — بالبيئة الغربية والوسط الغربى والروح الغربية الروائية فى معظم ما يظهر من القصص فى الأدب المصرى. فهى كلها لا تخل من الحياة المصرية إلا النواحي الوصفية وكفى. أما تصوير البيئة المصرية والروح المصرية أو بمعنى آخر تصوير العاطفة المصرية الصحيحة، فلن نعثر عليه فيما يتفق لك من قصص مصرية ولن نجد ثانياً مصرنا يعنى بتصوير هذه الناحية — وقلة عنايته هذه لا ترجع إلى عدم اهتمام بها ولكنها ترجع أكثر إلى القصور أو ببساطة أصرح إلى الجهل والعجز. لا أقول إن كاتباً لم يحاول تصوير العاطفة المصرية فى الأدب القصصى المصرى الجديد، ولكننى أقول أن معظمهم إن لم يكونوا كلهم — قد أخفقوا فى ذلك ! وظلم متأثر فى تصويره بالمجتمع والبيئة الغربية أو بمطالعائه فى الأدب القصصى الغربى .

وقد يكون صحيحاً أن الحياة المصرية والمجتمع المصرى يتقايده الحالية وفى موقفه الشاذ الحاضر، لا يمكن أن يلهم المؤلف محورا لفصة طريفة ! قد يكون هذا . ولكن العاطفة موجودة فى الحياة المصرية على كل حال وتصورها على حقيقتها الراحنة

الآن هو الأساس المطلوب للأدب القصصى القومي في مصر
ولذلك كله سرني كثيراً أن يظهر ، مختار القصص ، وأن أعثر فيه على سبع قصص
مصرية تصور الحياة المصرية في البيئة المصرية بروح مصرية أو بلحزى تصور
العاطفة المصرية سبع قصص يمكن أن تعتبر نواة صالحة لحياة أدبية قصصية جديدة
وهي كلها تصور أيضاً الحياة القومية المصرية البسيطة بل الساذجة وأقصد تلك التي
لم يعقدها امتزاجها بالحياة الغربية والشرقية الأخرى امتزاجاً مشوشاً تركها خليطاً
مضحكاً من عادات وتقاليد لا اتساق لها ولا رابطة بينها، أقول أعجبنى من الأستاذ كامل
كيلاني أن يعتمد إلى تصوير هذه الحياة المصرية البريئة التي لم تعكرها اللونة الدخيلة،
وأن يؤثر تصوير البيئة المتوسطة ويفضلها عن الحياة العصرية الراقية المتكلفة التي لم
يستقر لها قرار بعد والتي تتبدل كل يوم في شكل جديد !

(٢)

وه مختار القصص ، كتاب حسن المظهر أبقى الطبع وحصلك أن أذكر أنت
دار العصور هي التي قوت طبعه وأن ، مكتبة الوفاء ، هي التي عذبت بنشره لتصور
الشكل الذي يصدر به كتاب أدبي اجتمعت له هذه الأسباب ، ويراجعك من الكتاب
تصدير الناشر يقدم لك فيه الأستاذ كامل كيلاني بدراساته الجديدة في الأدب العربي
وعنايته بالأدب القديم والكتاب مصدر أيضاً بقصيدة رائعة للدكتور أبي شادي
في (الأدب القصصى) ولعلها الأولى من نوعها أن تحلل هذا الأدب الجديد وهي
وإن كانت موجهة للأستاذ كامل كيلاني إلا أنه يمكنك أن تعتبرها مثلاً توجّه
للكتاب القصصى المصرى المنتظر وأنت إن أقبلت عليها فلن يسعك إلا أن تعجب بمطالعها
إن الحياة — إذا اعتبرت — رواية فاستوح من قصص الحياة جمالا
ولن يسعك إلا أن تزداد إعجاباً عند هذا المعنى المبكر :

فترى التأنق في حياة سطور هـ وترى الحياة به أنفيض جلالات

ولا أظنك تمر على هذا المعنى دون أن تستعيد البيت ليم استمتعك به :

وترى النصرف بالحوادث زادها هـ خللاً وزاد ما آلتها آمالا

فم تفرغ من هذا كله إلى مقدمة للأستاذ العلامة الجليل لسباعيل مظهر بك في القصة

وتشأتها وتطور فكرتها ، ولا أحسبك تطمع أن تروى غثك في مثل هذا البحث من غير الاستاذ مظهر بك ، فإنه يتغل بك من تحليل بارع من صورها الأولى وأثرها في حياة الإنسان الأول إلى تطورها الديني وتكيفها لمعتقدات البشر أو تكيف المعتقدات لها ، ثم إلى ازدهارها واتساع أفاقها لما جاء القرن الحادي عشر ولم يتغير الكون مع أنهم كانوا يعتقدون نهاية العالم وهو بحث معك كل هذا في أسلوبه العلمي الاستقرائي الطريف والكتاب مع ذلك مقتطفات من كتب ثلاثة :

الأول - كتاب مختار قصص السينا ،

والثاني - كتاب قصص بو كاشو ،

والثالث - كتاب قصص مصرية ،

ولن نعرض هنا إلا للتوسع الأخير أي القصص المصرية وستدرسها وتقدمها معا ملين أن تكون لنا عودة للتوسعين الآخرين في فرصة أخرى ذاكرين أن الأدب القصصي الجديد (ونقصد ذلك الذي يصور العاطفة المصرية كما أسلفنا) لم يبرز أطواق الحداثة بعد وإن الاستاذ كامل كيلاني هو أول كاتب قصصي مصري ، ولكنه أن يصور العاطفة المصرية في بيئة مصرية خالصة ويجمع مصري بحثاً مما قد يكون لدراستنا من ملحوظات نقدية فهي ما لا بد منه في منهل مثل هذا الأدب الجديد .

(٣)

وأول القصص التي ستدرسها معا هي وسية وأنت تشعر إذا قرأها أنها تسير سيراً حسناً معقولا إلى أن يستحكم الحب بينها وبين محمد ، والاستاذ كامل كيلاني حرص (في كل قصصه تقريبا) على أن يفجأك باستحكام أو اصرار المحبة بين أبطاله رأسا وهو لا يريد أن يرهقك أو يشجى عواطفك بشرح أدوار الغرام التي أدت إلى استحكامه ثم إن أباه الشيخ إبراهيم الرجل الصالح التقى الورع ، نهج نهجا مدهشا فقد غضب وه خرج عن طوار الرزاة والحلم اللذين انصف بهما ، لما فاتحه ابنه محمد بأمر زواجه من حبيته سنية ومات بشدة ، ولكن ذلك لم يرد محمدا إلا تعلقاً بفتاته فخاف عليه من الجنون ورعه بذلك ولكن يعمد بعد ذلك إلى خطة غريبة حقا ، فإنه يعلم مبلغ حب محمد للفتاة ، الحب الذي خشي أن يسبب له الجنون انحرمة ، وهو مع ذلك يرسله إلى

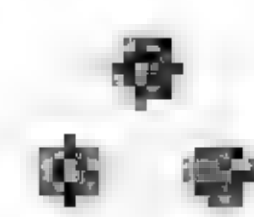
الريف في مهمة خاصة و يوهم سنية انه هجرها وانه لا يحبها ، (فبحث اليه بخطاب قاس
تعبته فيه و تقاطعه وتعلمه بزواجها من ابن عمها (ودائما ابن العم في كل قصة وعند
كل نائب قصصى) يصفق الشاب لهذا الباب ويسقط منغيا عليه ويعود للقاهرة في نفس اليوم
ويعيش مسلوب القلب في هجر مدرسته ودراساته الأخرى وينصرف إلى تأملاته الحزينة وبأسه
الميت ، ويظل هكذا ستة شهور يسمع بعدها عرضاً أن حبيبته قد زفت إلى زوجها العنيد منذ
يومين فقط ، وتفرح في نفسه جراحات القلب التي كادت تتحمل فلا يحتمل آلامها
ويظل يتحمل حتى يخلصه منها ماء البحر !

والقصة بهذه الخاتمة لا تخلو من بعض تصرفات شاذة ، فان الشيخ ابراهيم الذي
كبح جراح نفسه أولاً ، ووعد ابنه ، محمداً ، بزواجه من حبيبته سنية ، لأنه لما حاول
الاعتراض رآه ، يهذى في نومه وفي بقلته ، ولأنه ، كان وحيد أبويه ، ولأنه ، خشي
أن يصبه مس من الجنون ، — الشيخ ابراهيم الذي يقدر كل هذا ويخشى عواقبه
في أول الأمر فيعد وحيداً بالزواج من حبيبته لما لم يجد من ذلك مخرجاً ، لا يعقل أن
ينقلب على ابنه فجأة فيدبر له هذا الأمر الذي يسلبه له ويفقده الوعي ، ثم انه يراه
وقد هجر مدرسته وانصرف إلى تأملاته الحزينة وبأسه الميت ، ولا يترك مع ذلك ما كناً ،
لا يلوح له بيارقة أمل وهو يعلم أن الفتاة لم تزوج بعد ، ولو ان له تلك النفس الأولى
التي تجزع إذ ترى وحيداً مهدداً بالجنون فتعده بأمنيته ، لو ان له تلك النفس لما أمكن
أن تطمئن إلى تركه مشرداً نائه الفكر واللب مصعقاً مع ان الحل بسيط ، فقد
مكثت الفتاة ستة أشهر لم تزوج خلالها كما أوهم ابنه ، ثم إن والد الفتاة وإن كان
وضع المركز إلا أنه ، على النفس تربيته الأمانة والاستقامة وبحليه الصدق والاخلاص
والزاهة ، يشهد بذلك الشيخ ابراهيم نفسه الذي ، رأى من أمانته واستقامته عازاد
ثقة به . ١

اسم القصة « سنية » ولكن محورها كان يدور حول « محمد » وحده ، فقد تبعة
المؤلف وحال شخصيته بأسباب واستقرأ خواطره وآراءه في شتى الحالات ، وقد
شرح لنا قبل الحب به ؛ ولكن لم يشرح فعله « سنية » ، والفتاة كانت تحمل للفتى
مثل حبه ، ولكنها مع ذلك استقوت على الحب ، وعلى مقاطعة الحبيب ، وعلى الزواج
من غير الحبيب دون أن تحدثها نفسها بشيء ، بينما نفس « محمد » تحدثه بأشياء لم يخلصه
منها سوى الانتحار !

ويكاد يبدو الاقدام على الانتحار غريباً، ويكاد يكون من ذلك النوع الذي نعااه
على القصص المصرية المنتشرة الآن والمتشعبة بالروح الاجنية والبيئة الاجنية، والتي
نود أن نخلص منها إلى القومية المصرية البحتة التي يجب أن تصبغ كل مظاهر قصص الأدب
المصري القومي المنشود.

وإذا كان الحب القوي الحبيب قد انتحر لأنه لم يتزوج من فتاة فقيرة وضعفة
الحب تبادل الحب فقد كان الأولى أن يسبق إليها هي خاطر الانتحار إن لم تسبق
هي إليه.



— ٤ —

ونفرغ من «سنة» أولى القصص المصرية بأمريين :
أولها: — أن الأستاذ كيلاني قد وفق إلى أبعد حد في تصوير العاطفة المصرية في
بيئة قومية : فكان بذلك أول كاتب قصص استطاع أن يصوغ لنا قصة
قومية مصرية بحتة.

ثانيها: — أن الأستاذ كيلاني رغم دقة تصويره، ورغم توفيقه في هذا التصوير
يتمهل أثناء قصته قبل مناسبتها فيضطر إلى الالتجاء إلى الروح الغريبة
والفكرة القصصية الاجنية التي لا تصلح أساساً لقصص قومية بعد
الاختلاف بين الحياتين والبيتين.

وسنرى معاً كيف أن الأستاذ كيلاني سار في توفيقه الأول سيراً حسناً
سريعاً وكيف أنه وإن لم يتخلص تماماً من الأمر الثاني، حاول أن يلزم الروح
المصرية جهده.

والقصة الثانية التي ندرسها الآن هي «التهمة» — وأنت ترى في مستهلها حسن
أفندي ضابط الجيش مطمئناً إلى جلسته في قهوة بيور سعيد : وأنت ترى الشاب الآخر
المحتلء الجسم القوي العضل يقترب منه وعلى وجهه آثار الاضطراب والذعر
وأنت تجد حسن أفندي يضطرب حياؤه أخيراً إلى مجالسة الشاب الغريب الذي بدأه بالتهمة

وبدا الشاب قصته بصوته المتهدج المضطرب ، فبروى لحسن أفندي كيفدانه وزوجه نزلا إلى هذا البلد منذ شهرين وانهما قضياهما في صفاء إلى أن تعرفت إلى زوجه عجوز خيثة أفستت عليه أمرها ، وكيف انتهى أمرهما اليوم إلى شجار كلامي عنيف صممت الزوجة بعده على مغادرته وهددته بالحرب إذا لم يطلقها ، وكيف أنه أحكم عليها قفل الباب وانصرف يبحث عن وسيلة تفنعا بالعدول عن فكرتها وليس له في البلد قريب ولا صديق ، ثم كيف صار أخيراً حتى وقع نظره على حسن أفندي فشرع بمجادبة عجيبة له ، ويختم حديثه إليه بقوله :

« واثق هاتفا خفياً يهتف بي أن خلاص كربى على يدك » !

ويتهى الأمر بهما إلى قبول حسن أفندي القيام مع الشاب الغريب إلى منزله ليصلح بينه وبين زوجته ! وأنت ترى أن حسن أفندي ضابط الجيش كان ساذجاً إلى حد بعيد — أن لم يكن أبداً — فقد كان يحب أن يقدر — أن محدثه شاب مصري هو في الوقت نفسه زوج شابة مصرية **اختلف معها لأسباب خاصة** يقن هو أنها مفسدة لها ، فمن غير المعقول أن يوسط في الصلح بينه وبين زوجته الشابة — التي يفار عليها والتي كانت الغيرة السبب الوحيد في اختلافهما — لا يعقل أن يوسط بينه وبينها شابا مصرياً غريباً عنه وعنهما ، ولا يمكن أن تطعن هي إليه اطمئناناً بريئاً ! كان على حسن أفندي أن يقدر هذا كله ويدرك أن في الأمر سرّاً آخر ، فقد أقدم الشاب الغريب على أمر قد يعد جرأة غريبة من رجل أوروبي في بلد مثل باريس أو غيرها من بلدان الاباحية المتطرفة ، فما بالك به في مصر التي لا تزال ترسف في أغلال الحرمان والحجاب وما إلى الحرمان والحجاب من تقاليد وقيود ! ثم أنها قد تبدو مذهشة لو صدرت من صديق خبر أحوال صديقه وسبر غوره وباده الاخلاص الأكيد والثقة المطلقة ، فما بالك بها من شاب غريب في بلد كبير سعيد ، لاخر غريب عنه وعن البلد ولم يربها بعضهما قبل الآن ولا جمعت بينهما غير ظروف خاصة غريبة ؟ . . .

وأغرب من كل هذا أن يذهب حسن أفندي مع الشاب إلى منزله فيدخله غرفة قاصية ويطلب إليه أن ينتظر ريثما يحضر إليه زوجته ليصلح بينهما . . . ولو أنني رأيت هذا التصرف في رواية سينائية أوروبية إباحية لما أعجبت من مؤلفها بمثل هذه الفكرة

الغريبة الجريئة ، قبل ترائي اطلعتن اليها من مؤلف مصرى يصور الحياة المصرية
في بيئة مصرية خالصة !

وينظر حسن أفندى ما يشاء له صبره الطويل وهو لا يسمع حركة ثم يحس وحشة
في المنزل فيخرج من حجرته يحذر يتفقد المكان الذي ساقه اليه قلبه الطيب بل طيشه
و عدم تبصره ولكنه لا يجد أحداً . . . ووصل إلى غرفة رآها مظلمة ، أضواءها فوجدتها
حجرة نوم فخمة ، نعم لقد وجد سريراً من أفخم الأسرة ، قدنا منه ، ورفع الاحاف
قليلاً فرأى وجهها رائع الحسن . بسم ، وظن أن الرجل قد تركه في الشقة ليصل به
إلى هذه النتيجة ، وحسب الفتاة تصنع النوم . لمس كفها فوجدتها باردة ، وتحقق من
وجهها فرأى سمات الموت بادية عليه قليلاً . . . رفع الغطاء كله ، فماذا رأى
باللهول — أمتعاه خارجة — ولا تزال المديّة التي يقرت بطنها في صدرها غارقة في
دماء الفتاة !

نعم لقد وجدها قتيلة وليس في الحجرة معها شيء !
ولا يكاد حسن أفندى يستفيق من ذهولته إلا وهو بين أيدي رجال التحقيق ،
وينكر حسن أفندى طبعاً جريمة القتل التي ألصقها به الظروف القاسية ولكنهم
يسخرون منه وتصيحونه أن يعترف بالحقيقة ! فقد اتفقت على إدانته أدلة تقوية لا يأتينا
النقض من جهة من جهاتها ، ثم هو يستطيع بمشقة أن يثبت لهم برامته بشهادة الكشف
الطبي وبشهادة غلام القهوة التي كان جالسا عليها حين جاءه الزوج لأول مرة ويقبض
على الزوج الجاني فيعترف بجريمته وينال جزاءه .

• • •

— ٥ —

ونفرغ من هذه ، التهمة ، بأمرين أيضاً :
أولهما — أن الأستاذ كامل كيلاني استمر موفقاً في تصوير العاطفة المصرية في
بيئة مصرية قومية تصويراً جديراً بكل إعجاب .
ثانيهما — أن الأستاذ كامل أفندى كيلاني لم يتعجل هذه المرة نهاية القصة ، ولكنه
تعجل تذكير ، العقدة ، القصصية ، ثم استمر هادئاً موفقاً في دقة تصوير

بارعة وجاء ختام القصة نتيجة طبيعية للعقدة القصصية فكان من أسباب تبرير التعجيل الذي لجأ الأستاذ كيلاني إليه في تكوينها .

ونترك (التهمة) لندرس مع القصة الثالثة (عزيزة) وهي أروع قصة صورت العاطفة المصرية تصويراً صادقا مفصلا ، وحظت الحب في البيئة المصرية المحجة ورقبت أطواره في نجاح وتوفيق . فأتت ترى عزيزة في بداية القصة تصرف عن اتفاق هدامها وسائر ما يشغل الفتيات من سنها ، ترى تلك الفتاة النحاسية النحيفة التي تكاد مع ذلك تداني الرجل في جرأته وقوة بطشه لا يشغلها إلا أمر توطيد مركزها ومركز أسرته المتوسطة الحال في ذلك الحلي الفقير الأهل بالعمال والمساكين ، وألا أمر آخر يدر على أمها بعض أخلاف الرزق ، ذلك هو قيامها ببعض أعمال تجارية بين القاهرة وبعض قرى المتوفة ، تعمل إليها الأثواب والأنسجة لتبيعها للقرويين ، أولئها يطعم بها السمن والغلل وسائر ما يطعم مثلها في الحصول عليه من المحصولات القروية .

وتصادف عزيزة في تقلانها شابا فلاحا قوي الجسم مفتول الساعدين فيحبها وتحبه ، وينمو بينهما الحب سريعا فيؤرقها ويغض مضجعها ويشغل عليها كل أوقاتها فتكثر من التردد على ذلك البلد الخاضع وبغير مناسبة وتلجأ إلى جارها حوذى مشهور في الحلي بالحنق واللباقة فتدعه أسراياها وتتخذ وسيطا في إرسال وتسلم رسائل الغرام بينها وبين معشوقها مقابل جمع قروش أو علة سحائر تجود بها عليه بين حين وآخر . وغير الحب أحوالها فانقلبت من فتاة (شرسة لا تنطق الرحمة إلى قلبها) ولا تعرف هراة في إفاذ انتقامها المروع ، إلى فتاة أخرى مستكنة هادئة قد هذب الحب قلبها وأذلها وكسر تكلمتها وأقض مضجعها وألجأها إلى حوذى ما كانت تفكر لحظة فيه لولا هيامها بعشيقها الذي لا تحلو لها الحياة إلا به .

وأنا أريد أن أقف بك هنا لحظة تستعيد فيها ما قرأت وتترك العنان لأعجابك بهذا القصص الذي يوفق إلى التسلل الطبيعي الطريف في ذلك التصوير الرائع للطائفة المصرية الخالصة في البيئة المصرية البحتة ، وليس أدل على ذلك من أن نعود بك إلى محور القصة لترى كيف تكاد تلب نيران الغرام أحشاء عزيزة وكيف تتحلل الأعذار لتكثر من التردد عليه في بلده وكيف ينتهي ولع الشاب بها بالتبعة الطبيعية التي تنتهي إليها حب مثله إذا نال وطرد . اشتر معها نحو عامين تلاهما زهدا فيها وانصرافه

عنها وإن بقيت هي تبحر له الحب وترى فيه (المثل الأعلى الذي تصور إليه نفسها) ويتبادى المشيق في فتوره ، وحباً تحاول اجتذابه إليها ، فقد ملها وفاقته نفسه إلى متعة أخرى ، تأسى ، عزيزة ، من حبه فيضيا هجره ويحضرها فراقه ، وتكابه فلا تحفظه برد ، وتحاول مقابله فتهرب منها فتصرف عن هذا كله إلى ما تصرف إليه المرأة المقبورة المغلوبة على أمرها : تلجأ إلى الدموع في منلة ومسكنة ، وتصبح وديعة حزينة ، وتسرى عدوى حزنها إلى أمها فتكفان عن أدب الناس ، ولا يمر زمن طويل حتى تنكب هذه الأسرة في أمها الوحيد في الحياة إذ يقع الابن الفرد تحت عجلات القطار فتقطع ساقه اليمنى وتصاب اليسرى بضرر جسيم .

تولول ، عزيزة ، وتلطم أمها الحدود وتشق الجيوب ويخلع قلب الزوج وتقتضى العائلة بقية أيامها في أمي صامت تثيره تلك الساق التي وضع الأطباء عليها ساقاً صناعية . وتنشب الثورة المصرية في سنة ١٩١٩ وتكثر الاضطرابات وتسمع ، عزيزة ، وهي تناول عشاءها - صوت طلق تاري يعقبه صيحة يخيّل إليها أنها صادرة من شقيقها فترك عشاءها وتهرول في الظلام حتى تصل إلى ذلك الشخص الصريع ولا تكاد تميزه حتى ينهال عليها وابل الرصاص فتخر صريحة لا تبس بلفظة !

- ٦ -

ويخرج من ، عزيزة ، أشد اعتقاداً في توفيق المؤلف في تصوير العاطفة المصرية في البيئة المصرية وأكثر إعجاباً بدقته في التصوير وبراعته في ترتيب القصة المنطقي . وترى أنه لم يتعجل هذه المرة ، المقدمة ، القصصية ولكنه كان يسير المنطق القصصى في هدوء ولم يتعجل الخاتمة كذلك وإن دس ثورة سنة ١٩١٩ لينتهي بها من ، عزيزة ، ويفرغ معها من القصة ! ولكنه مع ذلك تخلص معقول : بل تخلص بارع بالنسبة لما يلجأ إليه غيره من القصاصين المصريين .

وتفرغ من ، عزيزة ، لتعالج دراسة ، الهيكلية ، ولعلها أحسن وأمتع ما يحويه مختار القصص من القصص المصرية ولو أنها تميل إلى ذلك النوع الوصفى الذي انصرف إليه كل كتابا القصصيين ، ولكنها مع ذلك تمتع بآلة التصوير ، فأنت ترى الحاج

على في بدايتها بدأب على تكوين وتنمية ثروته المحصورة من طريق التجارة ، وأنت
تراه أيضا بعد مضي خمسة عشر عاماً يستطيع أن يبني له بيتاً قريباً من محل تجارته
وينشئ في أسفله دكاناً خيراً من الدكان الذي كان متاجره في الزمن الأول .

ويظل الحاج على يعيش مع زوجته خديجة الريفية في دور أرضي حقير يرزقان
فيه بينة وثلاثة أبناء ذكور ، فلما تحسنت حالتهم المادية انتقلوا جميعهم إلى المنزل الجديد .
وتدأب الأسرة كلها على تحصيل الثروة : الولدان الكبار يساعدان أباهما بالعمل
أجبرين ، والأب ينصرف إلى توجيه تجارته والتحبيب إلى عملائه فيقبل عليه الناس
يد أن الابن الثالث كسول يميل إلى البطالة ولا تنفع معه شدة أبيه وصراجه والجهود
العظيمة التي يبذلها في إصلاحه ، ولكنه وضع لفساده حداً معقولاً .

ولكن خديجة الزوجة الريفية التي قاست مع الحاج على شغل العيش تطلعت
إلى البطر ورأت من حرص زوجها عقبة لم تدلها إلا بالسرقة منه ، فاتفقت مع جارة
لها فقيرة على نهب زوجها وتغلقه ، تسرق لها ما تصل إليه يدها من مخازن زوجها
وتبيعه لها الجارة وتشترى لها به ملابس وجوارب ومتاعيل وذلك أقصى ما تطمع فيه
وكانت خديجة لا تخرج في تكليفاتها ، صغيرة ، بالقيام بهذه المهمة تضع لها الجبن
أو الصابون في إناء قذر وتخرج به أمام الدها على أنها تحوى أقذاراً تريد إلقاءها في الخارج
وهي ترمي الحاج على تاركاً لأسرته ثروة لا بأس بها ، بل هي كبيرة بالنسبة إليهم إذا أضفت
إليها المنزل الذي بناه حديثاً . ولكن الأعمال لا تلبث أن تختل إذ يندفع أصغر الأولاد
إلى تيار الملاذ الجارف بعد أن زال الكابوس الذي كان مصدر مضايقته المستمرة .

يخلق محل التجارة بعد مدة ويبيع أكثر البيت ويفلس القائمون بأعمال التجارة
بعد وفاة حميد الأسرة .

ويعود الولدان الكبار إلى مراولة عملها الأول وهو على حقارته ومشقته لا يكاد
يسد الرمق ، ويتهدى الأصغر في ملاحيه حتى إذا غضب معين نقوده عمد إلى السرقة
فيصادفه النجاح أول أمره ، ولكنه لا يلبث أن يضبط ويرج به في السجن .

وما تزال المرأة والفناء تعانيان شغل العيش وتقاسيان مرارة اليأس ومنحدرتين
من سىء إلى أسوأ حتى بلغنا أقصى حدود الشقاء ، ونصف الأم بابتها وتغذف بها في
الهاوية المحيقة فتتردى فيها الفناء وقد فقدت أئمن ما تملكه الفناء الشريفة أو تدور

الأيام وتزوج الفتاة من شاب فقير سليم الطوية كثير التواضع يميل إلى الدعة ويرى في حبها ما يفي به كل اعتبار آخر .

وتمر السنين متتابعة . وتنفق « سميرة » مع زوجها الهادي المستكين إلى سكن أرضي ضيق مظلم يتأجرانه من شيخ محسن بأجر ضئيل يشارل عنه بعد أن يتبين له فقرها المدفع . هذا والسيدة خديجة لا تفتأ تتردد على منزل ابنتها مزينة لها الانسياب في تيار الرذيلة تغريها حتى لسرقة الحيوانات الضالة في الطريق ، وكم وقعت لها بطة سمينة أو أوزة تشبع نهمها حيناً ، وكان الزوج يودع زوجته كل ما يربحه وهي تدبر له أمر معاشه ، وكم كان معجباً بها ويتدبرها الحسن عند ما يجلس إلى طعامه فتقدم له البطة أو الأوزة يستمتع بها وهو لا يكلف نفسه مشقة التحري عن مصدرها :

وزارت الام قناتها ذات يوم ، فأرت عند بابها ما أفهم قلبها سرورها وبهجة ، عنزة سمينة تأتي إلى باب منزلها بقدميها ، يا للقيمة !

كانت العنزة ملكاً لصاحب مقهى مجاور للمزحل ، وكان يقضي نهاره في مراقبتها أو تكليف أحد غلمانه بذلك . وكان واقفاً يلحظها وهي تملكأ أمام منزل « سميرة » ، وحدث أنه غاب عنها داخل القهوة لحظة قصيرة لأمر ما ، لحظة قصيرة جداً . ولكنه لما خرج لم يجد عنزته المحبوبة . ووجد باب المنزل مغلقاً ، طار عقل الرجل . وهوول كالمجنون حتى وقف أمام المنزل ونظر إليه في تردد . ومرت اذ ذاك إحدى نساء الحي وكانت عاكرة لحيحة ، ويظهر أنها كانت ترقب أفعال المرأتين وتضر السر لها وانتهزت هذه الفرصة فحدثت من صاحب المقهى وهمست في أذنه . وحدث أن مرت أخت الرجل . ويظهر أنها كانت كاتخياً معروفة في « الحارة » بالحول والجبروت . فأنها ما كادت تعلم بقصة أخيها حتى هاجت وماجت وصارت تهجم على الباب تفرعه بعنف ولكن ما من مجيب . ويسمع الجيران بالامر ويتزاحمون على بيت « سميرة » ويتقدم جملها ينق فيها ويتعمد للحاضرين باثبات يرادها بعد أن يؤكد لهم بعدها عن كل شئ . وينق الباب وينادي على الفتاة بصوته فيسمع جواباً خافاً فائراً كأنما هو صادر من شخص يستيقظ من النوم . يسمع صوت يمله قليلاً حتى ترتدى حاجته ثيابها ويفتح الباب بعديرة ويندفع إليه الناس يفتشونه وتسل السيدة « خديجة » والدة الفتاة بين الجموع المحتشدة بالباب ، ولا يترك صاحب العنزة جزءاً من البيت إلا يبحث فيه بدقة ولكنه لا يعثر على شيء .

فيخرج أسفا على سوء ظنه بالناس ويعلو البشر أسارى وسحيرة، وتدفع تندد لصاحب المقهى وباخته وتسبها على سوء ظنهما بها وهي الفتاة الطاهرة الشريفة، وتسمع أخت صاحب المقهى هذا فتستحيط غضبا وتمجى على البيت فأنها تحقق حاجها خفيا في نفسها وتذهب الى مكان خاص فيه زير وتظر في ذلك الزير فلا تجد شيئا وينتهي بهم بالعودة كاسفة اليال اذ بالزير يهوى الى الارض فتسيل الماء ويسقط معه جسم العزة وقد شطر شطرين!

يهل الناس ويصفق الاولاد ويشهد الزحام وتساق الفتاة بين سخرية الجوع الى مركز الشرطة وقد حلت الماعز التي ذبحت في اية من اوانها ويرق لها قلب خصمها صاحب المقهى لما تقرب من مركز الشرطة فيعقرو عنها بعد أن يتعهد له أحد المحسنين بدفع نصف ثمن العزة وان عجزت هي عن سداذه.

وتتوب «سحيرة» عن السرقة بعد هذه «الهنكة» وتصرف الى الصلاة والتسكع



وأنت ترى اني لم أكن مبالغا حين ذكرت لك أن «الهنكة» من أقوى وأبرع القصص التي تناولت الحياة المصرية وإن انصرفت كل العناية الى الناحية الوصفية، وإن أريد أن أترك لك أمردا استهيا في مختار القصص فلم أذكر لك إلا ملخصاً أبت، ولست أؤكد لك أن تلخيص هذا لم يشوه القصة ولم يمسحها، لأنها كما ذكرت لك من النوع الوصفى أوهى «صورة» يجب أن تلم بكل أركانها وتتمعن فيها قبل أن تجازف برأيك. ولأجل هذا لا أود أن استلخص معك شيئا من هذه القصة، بل أتركها لدراستك الشخصية وإن كنت راثقا أن النتيجة في الحالين لا يتا ولها تغير كبير. وهناك من القصص المصرية - غير «الهنكة» - ثلاث قصص أخرى لم نعرض لها هنا وكنا نظن أن في المجال متسعا لبحثها ودراستها، وهي «المصادقات» و«المرتدية» و«المفاجأة» ولن أشير عليك بأكثر من الرجوع اليها وقرائتها لتؤ من معي بأن الأستاذ كامل أفندي كيلاني كان موقفا فيها كلها إلى حد كبير، فقد استطاع أن يصور لك كما قلت الحياة المصرية الصحيحة في البيئة المصرية البهجة أو بمعنى آخر كان أول قصص مصرى صور العاطفة المصرية في أدب قومي جديد.

تعددت أن لا أتناول في هذا البحث إلا نوعاً واحداً من القصص التي حوّاها
 مختار القصص ، ومع ذلك لم ينسج المقام لدراسة هذا النوع الواحد وإن كنت قد
 ألمحت بالفكرة إلاماً ، وأنا أعذر للقارئ عن هذا التقصير الذي لا بد لي فيه وإن
 فاني أن أدرس معه قصص بوكاشو التي تعد الضوء العالمي الذي قبس منه كل كتاب
 الغرب . إن فاني هذه الدراسة الطريفة فإن يقوتني أن أوجه نظره إلى « إوز
 فلورنسا » والهرم وتقويمه المستوي وقسوة زوج غيور وتغفل مزدوج وغيرها .
 والاساذ كامل كيلاني — كما يقرر ناشر الكتاب وكما نعرف — أديب كبير
 معروف بدراسة الجديدة للآداب العربي فضلاً عن صيته الدائع كـ « عظم حجة بيتنا
 في أدب المتنبي والمحري وابن الرومي » وقد شهدت على آثار مجهوده العظيم فيما
 درسه له معاً من قصص مصرية ولعلك لا ترد في تصديقي إذا قلت لك إن الاساذ
 كيلاني سكرتير رابطة الآداب الجديد بالقاهرة لا يجد الغرور إليه سبيلاً فما زال
 بعد ما ظهر من إنتاجه ومجهوده مقدمات لما سيظهر ولا زال يصغي وراء النقد الحريه
 ينأ غيره بحري وراء المادحين المتعطفين وأذكر هنا أن الاساذ كيلاني لما بلغه أنني
 أكتب عن (مختار القصص) كتب إلى ما أثبتته هنا حرفياً :

ولعلك تعرف ياسيدي الأخ أنني أرحب — أو على الحقيقة من أرحب — الناس
 صدراً لسماح عبارات النقد لا تنفع بها في القصص التالية — هل قرأت ؟ وهل
 شعرت بالفرق بين زعماء الأدب الجديد المتواجزين الداعين إلى الأخاء والسلام
 الأدبي وبين المتألمين المتعطفين الداعين إلى التناهد والفردية الأدبية المبقوثة ؟
 ولقد اجتهدت أن أنسقط مواطن النقد في « مختار القصص » ولكنني أعترف
 أنني لم أوفق وأن أضعف ما في هذا البحث هي ما أخذ النقد فقد يكفي للرد عليها أن
 الاساذ كامل كيلاني أقدم على أدب مصري قومي جديد ولم يسبقه قصص آخر إلى
 تصوير العاطفة المصرية في مثل هذا التوفيق ؟

الاسكندرية في ٥ سبتمبر سنة ١٩٢٩

على محمد البهراوى

حول انشقاق القمر

~~~~~

كثير البحث حول مسألة انشقاق القمر وهل كان انشقاقه في الماضي أم أنه سوف يحدث في المستقبل عند حلول الساعة المعهودة . لهذا رأيت أن أدلي برأيي وأقول كلمتي في هذا الموضوع الخطير .

لا يخفى أن نظام الاجتماع وارتقاء النوع البشري يتوقف على أمرين بل يقوم على عمادين الأول عماد العلم والثاني عماد الدين . بل المعروف أن هذين العمادين هما الأساس لكل رقي اجتماعي ممكن أن يكون للإنسان فيه نصيب في هذه الحياة كذلك لا يجب علينا أن أكثر الذين يشكرون الأديان اليوم إنما ينكرونها لمعادنها العلم ومخالفتها لقرآنه الأولى . على أن قصور الفهم وعدم التعمق في الفكر هو السبب الأول في أن يظهر الدين لدى هؤلاء بمظهر المعاند للعلم المخالف لطبيعته . على أي لم أفق حتى اليوم على بحث طريف استطاع باحثه أن يوفق بين روح الدين وبين مستكشفات العلوم كما ينبغي . وكان هذا على الأرجح هو السبب في قيام تلك المناقشات الطويلة حول انشقاق القمر وهل كان في الماضي أم أن انشقاقه سوف يحدث في المستقبل ، مع أن محور البحث يجب أن يدور أدياً حول الحقيقة الأولى ، وهل يخالف انشقاق القمر مادياً وواقعاً العلم أم يحاريه ؟ هذا لأن بحث هذه الحقيقة في الواقع تمهيد ضروري لمثل هذا البحث .

ولأريه مطلقاً في أن مسألة انشقاق القمر مرتبطة بمسائل أخرى ، مثل انشقاق السماوات وانتثار الكواكب وسقوط النجوم ، ونكسوف الشمس الواردة في القرآن الكريم بصيغة الماضي ، وفي الانجيل الجليل بصيغة المستقبل . فقد قال المسيح له المجد جواباً على سؤال عن رفاق مجيئه الثاني : « ومن وقت خريق تلك الأيام تظلم الشمس



والقمر لا يعطى ضوءه والكواكب تنساقط . - الخ - الى غير ذلك من الآيات التوراتية العلم والعقل ظاهرها . وبسبب ذلك ينكر كثير من الفلاسفة والطبيين الاديان فانهم يرون قصوراً عن ادراك المعاني المستخفية وراء هذه الظواهر، أن السماء فضاء غير متناه . وان في الكواكب ما هو أكبر من الكرة الأرضية ، بحيث لو سقط أحدها أو خرج عن مداره اختل نظام الكون الطبيعي . إذن فان شق القمر لم يحصل لانه لو انشق لآه الناس في جميع الاقاليم ولا تثبوه في توار يخهم ولا آمن الناس كلهم بهذه الواقعة ، بل لا آمنوا كلهم برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ولم يخرج الى الجهاد الطويل في سبيل اعلاء كلمة الله .

واذا فرض وسلمنا بأن القمر انشق حقيقة فان هذا لا يكون معجزته عليه السلام لان هذه الظاهرة ليست من جنس الدعوى ولا من صفة الفعل . فاذا ادعى طبيب أو عالم بفتون الصحة وأن كل منهما بدليل هل ذلك طيرانه في السماء وطار بالفعل، قالت عمله هذا لا يدل على أنه طبيب أو عالم بفتون الصحة ، على الرغم من أن الطيران الى السماء فعل موجب للعجب . ذلك لان هذا العمل ليس من جنس الدعوى ولا من صفة الفعل، ولا رابطة بينه وبين موضوع الطب . ذلك لان الطب موضوعه حفظ الصحة ومقاومة الامراض . الى هذا أشار القرآن الكريم بقوله جل وعلا - وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه ، قل انما الآيات عند الله ، وانما أنا نذير مبين . أو لم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم . ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون . ويشير القرآن في آيات كثيرة الى أن الانبياء لم يستدلوا على صدق دعواهم بالمعجزات المفتوحة بل استدلوا بالكتاب - قل فأتوا بكتاب من عند الله هو احدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين . - . الكتاب هدى للبين . يريد الله أن يحق الحق بكلماته . - وأن المسيح له المجد لم يحب القوم بالآيات المقترحة من قبيل انطاق الحجر وبراء العيون وأحياء الموتى وقلب الحصى حية وغير ذلك ، بل أنكرها على الأوم حيث قال ان الجيل الفاسق الثمير يطالب الآيات الخ الخ . وقد يقال بان



الرسول عليه الصلاة والسلام لو استدل على صدق رساله بانشقاق القمر لرجع اليه الناس قائلين ان انشقاق القمر لا يكون لك دليلا على صحة دعواك لانه ليس من جنس الدعوى . وعلى هذا لا يكون أمام المعلن لهذه المعاني الا أمران . فاما الاذعان . وأما البرهان . أما الاذعان فهو أننا معشر المؤمنين تؤمن بالكتب المقدسة وأسرارها سواء أفهمنا ظاهرها وباطنها وتأويلها ومتشابهها أم لم تفهم من ذلك شيء ، وأما البرهان القاطع على دحض أقوال الطبعيين والمنكرين للاديان فقدم فهمهم أسرارها بالاسباب المذكورة فنقول انما يرد الاشكال لو كانت معاني الآيات محصورة في المعنى الظاهري في حين أن الأمر ليس كذلك فإن للكتب السماوية معان وأسرار واستعارات ومشابهات وتأويلات لا يعلمها الا الله والراسخون في العلم كما قال جل شأنه . لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم . . . ولما يأتيهم تأويله . . . ويوم يأتي تأويله . . . ثم إن علينا بيانه . . . فلا تنحصر معاني الكتب الالهية في المعنى الظاهري ، بل لها تأويلات شتى . فكما أنه لا نقاد لكلمات الله وأسرار آياته كذلك للشمس والقمر والنجوم والكواكب معاني سامية وأسرار عالية وإطلاقات شتى لما ذكر في كثير من المواضع . ففي مقام تطلق الشمس والقمر على الانبياء لانهم شمس أنوارهم وأقمار صفاتهم . لولاهم لما استضاء أحد بأنوار العرفان . وفي مقام تطلقان على أولياء الله لانهم شمس الولاية وأقمار الهداية بين البرية . وكذلك النجوم والكواكب أطلقت على المعاني المذكورة كثيراً كما لا يخفى على من تتبع اللغة العربية وقصائد الشعراء . وأطلاقها على هذه المعاني المذكورة في قصائد الشعر مشهور معروف . مثل قول الفرزدق من مدح النبي عليه الصلاة والسلام

لنا قمر السماء وكل نجم

تشير اليه أيدي المهتدين

فانه شبه الدين بالسماء والنبي عليه السلام بالقمر وأتباعه الكرام بالنجوم . وعلى



هذا يكون انشقاق القمر معنى خفياً غير ظاهري . وأقربه عندي أنه يظهره اضمحلت  
المعارف الانسانية القديمة وانشق له قمر المعارف الجديدة التي بشر بها لاهل وقته  
فاخرجهم بها من ظلمات الجهل الى نور العلم والعرفان .

فرج الله زكي الكردي

القاهرة



اطلبو من دار المعصور للطبع والنشر بشارع الخليج المصري

كتاب

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhs.com>

الضحية  
صرح

روايات وأبحاث أخرى

تأليف

طاغور الشاعر الالهى المعروف

بقلم

اسماعيل مظهر



## فهرست

- ٤٨١ — حاجتنا الى الاصلاح الاجتماعى ومشروع تأسيس حزب  
 الفلاح المصرى  
 اسماعيل مظهر  
 ٥٠٥ — ملك يقرأ - قطعة شعرية  
 محمد عشرينى الصديق  
 ٥٠٦ — على السفود  
 .....  
 ٥٢١ — الباية والباينة  
 عبد الجليل بك سعد  
 ٥٢٦ — شيطان بنتور  
 شوقي بك  
 ٥٢٧ — شعر التصوير  
 أبو شادى  
 ٥٢٩ — الدين وعلم النفس الحديث - الحياة  
 طاهر خميرى  
 ٥٤٣ — الحب - قطعة شعرية  
 جميل صدقى الزهاوى  
 ٥٤٤ — السرعة - ٥٧٢ كيلو متراً فى الساعة  
 .....  
 ٥٤٥ — جان دى لا بريير - كتابة الاخلاق  
 نصيف جورجى نيقولاوس  
 ٥٥٤ — حبي - قطعة شعرية  
 الصيرفى  
 ٥٥٦ — التريية فى النظريات الحديثة  
 عبد الله بك الحاج  
 ٧٦٥ — الأدب القصصى المصرى  
 على محمد البحرأوى  
 ٥٨٠ — حول انشلاق القمر  
 فرج الله زكى الكردى

